جمع واعداد: د.نضال علي حسين الرشيد

المحاضرة: الأولى

أهمية دراسة السيرة النبوية الشريفة:

إن دراسة السيرة والهدي النبوي له أهميته لكل مسلم ومسلمة فهو يحقق عدة أهداف من أهمها:

١-الإقتداء برسول الله(صلى الله عليه وسلم) من خلال معرفة شخصيته(صلى الله عليه وسلم) وأعماله وأقواله وتقريراته، وتكسب المسلم محبة الرسول(صلى الله عليه وسلم) وتنميه وتباركه.

٢- ويتعرف على حياة الصحابة الكرام الذين جاهدوا مع رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فتدعوه تلك الدراسة لمحبتهم والسير على نهجهم واتباع سبيلهم.

٣- كما أن السيرة النبوية توضح للمسلم حياة الرسول(صلى الله عليه وسلم)، بدقائقها وتفاصيلها منذ ولادته وحتى موته مروراً بطفولته وشبابه، ودعوته وجهاده وصبره، وانتصاره على عدوه، وتظهر بوضوح أنه كان زوجاً وأباً وقائداً ومحارباً، وحاكماً وسياسياً ومربياً وداعية وزاهداً وقاضياً، وعلى هذا فكل مسلم يجد بغيته فيها:

-فالداعية يجد له في سيرة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام، ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من أجل إعلاء كلمة الله، وكيف التصرف أمام العوائق والعقبات، والصعوبات وماهو الموقف الصحيح أمام الشدائد والفتن؟.

-ويجد المربي في سيرته(صلى الله عليه وسلم) دروساً نبوية في التربية والتأثير على الناس بشكل عام وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكلأهم بعنايته، فأخرج منهم جيلاً قرآنياً فريداً وكوّن منهم أمة هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، واقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها.

- ويجد القائد المحارب في سيرته(صلى الله عليه وسلم) نظاماً محكماً، ومنهجاً دقيقاً في فنون قيادة الجيوش والقبائل والشعوب والأمة، فيجد نماذج في التخطيط واضحة، ودقة في التنفيذ بينة وحرصاً على تجسيد مبادئ العدل وإقامة قواعد الشورى بين الجند والأمراء والراعي والرعية.

-ويتعلم منها السياسي كيف كان(صلى الله عليه وسلم) يتعامل مع أشد خصومه السياسيين المنحرفين، كرئيس المنافقين عبدالله بن أبي سلول الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر والبغض لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) وكيف كان يحوك المؤامرات وينشر الإشاعات التي تسيء إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) لإضعافه وتنفير الناس منه وكيف عامله رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وصبر عليه وعلى حقده حتى ظهرت حقيقته للناس فنبذوه جميعاً حتى أقرب الناس له وكرهوه والتفوا حول قيادة النبي(صلى الله عليه وسلم).

–ويجد العلماء فيها مايعينهم على فهم كتاب الله تعالى لأنها هي المفسرة للقرآن الكريم في الجانب العملي، ففيها أسباب النزول، وتفسير لكثير من الآيات، فتعينهم على فهمها والاستنباط منها ومعايشة أحداثها، فيستخرجون أحكامها الشرعية، وأصول السياسة الشرعية، ويحصلون منها على المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة وبها يدركون الناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم، وبذلك يتذوقون روح الإسلام ومقاصده السامية.

– ويجد فيها الزهاد معاني الزهد وحقيقته ومقصده، ويستقي منها التجار مقاصد التجارة وأنظمتها وطرقها، ويتعلم منها المبتلون أسمى درجات الصبر والثبات، فتقوى عزائمهم على السير في طريق دعوة الإسلام وتعظم ثقتهم بالله عزوجل ويوقنوا أن العاقبة للمتقين.

–وتتعلم منها الأمة الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسمو الروح، وطهارة القلب، وحب الجهاد في سبيل الله وطلب الشهادة في سبيله ولهذا قال علي ابن الحسن:"كنا نعلم مغازي النبي(صلى الله عليه وسلم) كما نعلم السورة من القرآن".

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص :"كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يعدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها".

٤–إن دراسة الهدي النبوي يساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكام على معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين من خلال معرفة عوامل النهوض، وأسباب السقوط ويتعرفون على فقه النبي(صلى الله عليه وسلم) في تربية الأفراد، وبناء الجماعة المسلمة، وإحياء المجتمع، وإقامة الدولة، فيرأى المسلم حركة النبي(صلى الله عليه وسلم) في الدعوة والمراحل التي مر بها وقدرته على مواجهة أساليب المشركين في محاربة الدعوة، وتخطيطه الدقيق في الهجرة إلى الحبشة، ومحاولته إقناع أهل الطائف بالدعوة، وعرضه لها على القبائل في المواسم، وتدرجه في دعوة الأنصار ثم هجرته المباركة إلى المدينة.

٥– نحن الآن في أشد الحاجة لمعرفة المنهاج النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، ومعرفة سنن الله في الشعوب والأمم والدول وكيف تعامل معها النبي(صلى الله عليه وسلم) عندما انطلق بدعوة الله في دنيا الناس حتى نلتمس من هديه(صلى الله عليه وسلم) الطريق الصحيح في دعوتنا والتمكين لديننا على منهجية سليمة مستمدة أصولها وفروعها من كتاب ربنا وسنّة نبينا(صلى الله عليه وسلم) قال تعالى:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (سورة الأحزاب، الآية:٢١).

فقد كان النبي(صلى الله عليه وسلم) يتعامل مع سنن الله في خلقه بغاية الحكمة وقمة الذكاء، كسنة التدرج، والتدافع، والإبتلاء، والأخذ بالأسباب، وتغيير النفوس، وغرس(صلى الله عليه وسلم) في نفوس أصحابه المنهج الرباني ومايحمله من مفاهيم وقيم وعقائد وتصورات صحيحة عن الله والإنسان، والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وكان الصحابة رضي الله عنهم

يتأثرون بمنهجه في التربية غاية التأثر ويحرصون كل الحرص على الإلتزام بتوجيهاته، فكان الغائب إذا حضر من غيبته يسأل أصحابه عما رأوا من أحوال النبي(صلى الله عليه وسلم) وعن تعليمه وإرشاده وعما نزل من الوحي حال غيبته، وكانوا يتبعون خطى الرسول(صلى الله عليه وسلم) في كل صغيرة وكبيرة ولم يكونوا يقصرون هذا الاستقصاء على أنفسهم، بل كانوا يلقنونه لأبنائهم ومن حولهم.

اشهر المؤلفات في سيرة المصطفى(صلى الله عليه وسلم)

١, السيرة النبوية لابن هشام(ت ٢١٣هـ).
٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض السبتي(ت ٥٤٤هـ).
٣, الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم السهيلي(ت ٥٨١هـ).
٤, خلاصة سير سيد البشر، لمحب الدين الطبري(ت ٦٩٤هـ).
٥, زاد المعاد في هدي خير العباد،لابن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ).
٦. السيرة النبوية –من البداية والنهاية –لابن كثير القرشي الدمشقي(ت ٧٧٤هـ).
٧, المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لبدر الدين الحلبي(ت ٧٧٩هـ).
٨. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي(ت ٩٤٢هـ).
٩. السيرة الحلبية، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي(ت ١٠٤٤هـ).
١٠, نور اليقين في سيرة سيد المرسلين،للشيخ الخضري(ت ١٣٤٥هـ).
١١, السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة،لأبي شُهبة(ت ١٤٠٣هـ).
١٢, فقه السيرة،لمحمد الغزالي(ت ١٤١٦هـ).
١٣, السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي(ت ١٤٢٠هـ).
١٤. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري(ت ١٤٢٧هـ).
١٥, فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي.
١٦, السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، لعبد الرحمن على الحجي.
١٧. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث للدكتور محمد بن على الصلابي.

المحاضرة: الثانية

((أهم الاحداث التاريخية من قبل البعثة حتى نزول الوحي))

الحضارات السائدة قبل البعثة وديانتها:

أولاً : الأمبراطورية الرومانية:

كانت الامبراطورية الرومانية الشرقية تعرف بالامبراطورية البيزنطية، فكانت تحكم دول اليونان والبلقان، وآسيا ،وسوريا، وفلسطين، وحوض البحر المتوسط بأسره، ومصر، وكل أفريقيا

الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية ، وكانت دولة ظالمة مارست الظلم والجور والتعسف على الشعوب التي حكمتها، وضاعفت عليها الضرائب، وكثرت الاضطرابات والثورات، وكانت حياتهم العامة قائمة على كل أنواع اللهو واللعب والطرب والترف.

كان المجتمع الروماني مليئاً بالتناقض والاضطراب فكان هناك تناقض هائل في الحياة الاجتماعية للبيزنطيين، فقد رسخت النزعة الدينية في أذهانهم، وعمت الرهبانية، وشاعت في طول البلاد وعرضها، وأصبح الرجل العادي في البلاد يتدخل في الأبحاث الدينية العميقة، والجدل البيزنطي، ويتشاغل بها، كما طبعت الحياة العادية العامة بطابع المذهب الباطني، ولكن نرى هؤلاء في جانب آخر حريصين أشد الحرص على كل نوع من أنواع اللهو واللعب، والطرب والترف، فقد كانت هناك ميادين رياضية واسعة تتسع لجلوس ثمانيين ألف شخص، يتفرجون فيها على مصارعات بين الرجال والرجال أحياناً، وبين الرجال والسباع أحياناً اخرى، وكانوا يقسمون الجماهير في لونين: لون أزرق ولون أخضر، لقد كانوا يحبون الجمال، ويعشقون العنف والهمجية، وكانت ألعابهم دموية ضارية أكثر الأحيان، وكانت عقوبتهم فظيعة تقشعر منها الجلود، وكانت حياة سادتهم وكبرائهم عبارة عن المجون والترف، والمؤامرات والمجاملات الزائدة، والقبائح والعادات السيئة) .

ثانياً: الأمبراطورية الفارسية:

كانت الامبراطورية الفارسية تعرف بالدولة الفارسية أو الكسروية وهي أكبر وأعظم من الامبراطورية الرومانية الشرقية وقد كثرت فيها الديانات المنحرفة كالزرادشتية والمانية التي أسسها ماني في أوائل القرن الثالث الميلادي ثم ظهرت المزدكية في أوائل القرن الخامس الميلادي التي دعت الى الإباحية في كل شيء مما أدى الى انتشار ثورات الفلاحين وتزايد النهابين للقصور فكانوا يقبضون أو يأسرون النساء ويستولون على الأملاك والعقارات فأصبحت الأرض والمزارع والدور كأن لم تسكن من قبل.

وكان ملوكهم يحكمون بالوراثة، ويضعون أنفسهم فوق بني آدم؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة، وأصبحت موارد البلاد ملكاً لهؤلاء الملوك يتصرفون فيها ببذخ لا يتصور ويعيشون عيش البهائم حتى ترك كثير من المزارعين أعمالهم أو دخلوا الأديرة والمعابد فراراً من الضرائب والخدمة العسكرية وكانوا وقوداً حقيراً في حروب طاحنة مدمرة قامت في فترات من التاريخ دامت سنين طوال بين الفرس والروم لا مصلحة للشعوب فيها إلا تنفيذ نزوات ورغبات الملوك.

ثالثاً: الأمبراطورية الهندية

اتفق المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانةً وخلقاً واجتماعاً وسياسة ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادي فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد، لأنها أصبحت مقدسة وكانت المرأة لا قيمة لها ولا عصمة، وانتشرت عادة إحراق المرأة المتوفى زوجها، وامتازت الهند

عن أقطار العالم بالتفاوت الفاحش بين طبقات الشعب وكان ذلك تابعاً لقانون مدني سياسي ديني وضعه المشرعون الهنديون التي كانت لهم صفة دينية، وأصبح هو القانون العام في المجتمع ودستور حياتهم، وكانت الهند في حالة فوضى وتمزق انتشرت فيها الإمارات التي اندلعت بينها الحروب الطاحنة وكانت بعيدة عن أحداث عالمها في عزلة واضحة يسيطر عليها التزمت والتطرف في العادات والتقاليد والتفاوت الطبقي والتعصب الدموي والسلالي وكان الأدب في هذه الفترة بلا روح، وهكذا كان الشأن في الفن المعماري، والتصوير، والفنون الجميلة الأخرى.

كان تقسيم سكان الهند الى أربع طبقات:

١- طبقة الكهنة ورجال الدين، وهم "البراهمة".

٢- ورجال الحرب والجندية وهم "شترى".

٣- ورجال الفلاحة والتجارة وهم "ويش".

٤- ورجال الخدمة وهم "شودر"، وهم أحط الطبقات، فقد خلقهم خالق الكون من أرجله، وليس لهم إلا خدمة هذه الطبقات الثلاثة وإراحتها.

وقد منح هذا القانون البراهمة مركزاً ومكانة لا يشاركهم فيها أحد، والبرهمي رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله، ولا يجوز فرض جباية عليه، ولا يعاقب بالقتل في حال من الأحوال، أما (شودر) فليس لهم أن يقتنوا مالاً، أو يدخروا كنزاً، أو يجالسوا برهمياً، أو يمسوه بيدهم، أو يتعلموا الكتب المقدسة.

رابعاً: أحوال العالم الدينية قبل البعثة المحمدية:

كانت الإنسانية قبل بزوغ فجر الاسلام العظيم تعيش مرحلة من أحط مراحل التاريخ البشري في شؤونها الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتعاني من فوضى عامة في كافة شؤون حياتها؛ وهيمن المنهج الجاهلي على العقائد والأفكار والتصورات والنفوس، وأصبح الجهل والهوى والإنحلال والفجور، والتجبر والتعسف من أبرز ملامح المنهج الجاهلي المهمين على دنيا الناس وضاع تاثير الديانات السماوية على الحياة أو كاد بسبب ما أصابها من التبديل والتحريف والتغيير الذي جعلها تفقد أهميتها بأعتبارها رسالة الله الى خلقه، وانشغل أهلها بالصراعات العقدية النظرية التي كان سببها دخول الأفكار البشرية، والتصورات الفاسدة على هذه الأديان، حتى أدى الى الحروب الطاحنة بينهم ومن بقي منهم لم يحرف ولم يبدل قليل نادر وآثار الابتعاد عن دنيا الناس ودخل في حياة الخلوة والعزلة طمعاً في النجاة بنفسه يأساً من الإصلاح .

ووصل الفساد الى جميع الأصناف والأجناس البشرية ودخل في جميع المجالات بلا استثناء ففي الجانب الديني تجد الناس أما أن ارتدوا عن الدين أو خرجوا منه أو لم يدخلوا فيه أصلاً، أو وقعوا في تحريف الديانات السماوية وتبديلها وإما في الجانب التشريعي، فإن الناس نبذوا

شريعة الله وراءهم ظهريا واخترعوا من عند أنفسهم قوانين، وشرائع لم يأذن بها الله تصطدم مع العقل وتختلف مع الفطرة.

فاليهودية أصبحت مجموعة من الطقوس والتقاليد لا روح فيها ولا حياة وتأثرت بعقائد الأمم التي جاورتها واحتكت بها والتي وقعت تحت سيطرتها فأخذت كثيراً من عاداتها وتقاليدها الوثنية الجاهلية ، وإن المجتمع اليهودي قبل البعثة المحمدية قد وصل الى الانحطاط العقلي وفساد الذوق الديني فإذا طالعت تلمود بابل الذي يبالغ اليهود في تقديسه والذي كان متداولاً بين اليهود في القرن السادس المسيحي تجد فيه نماذج غريبة من خفة العقل وسخف العقول، والاجتراء على الله، والعبث بالحقائق، والتلاعب بالدين والعقل.

أما المسيحية فقد امتحنت بتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين واختفى نور التوحيد وإخلاص العبادة لله وراء السحب الكثيفة، واندلعت الحروب بين النصارى في الشام والعراق، وبين نصارى مصر حول حقيقة المسيح وطبيعته، وتحولت البيوت والمدارس والكنائس الى معسكرات متنافسة وظهرت الوثنية في المجتمع المسيحي في مظاهر مختلفة وألوان .

فقد تغلغل الاعتقاد بأن الإله الواحد مركب من ثلاثة أقانيم في أحشاء حياة العالم المسيحي وفكره، منذ ربع القرن الرابع الأخير، ودامت كعقيدة رسمية مُسَلَّمَة، عليها الاعتماد في جميع أنحاء العالم المسيحي، ولم يرفع الستار عن تطور عقيدة التثليث وسرّها إلا في المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي).

لقد اندلعت الحروب بين النصارى وكفّر بعضهم بعضا، وقتل بعضهم بعضا وانشغل النصارى ببعضهم عن محاربة الفساد وإصلاح الحال ودعوة الأمم الى ما فيه صلاح البشرية.

وأما المجوس، فقد عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية أعظمها النار، وانتشرت بيوت النار في طول البلاد وعرضها وعكفوا على عبادتها وبنوا لها معابد وهياكل وكانت لها آداب وشرائع دقيقة داخل المعابد، أما خارجها فكان أتباعها أحراراً يسيرون على هواهم لا فرق بينهم وبين من لا دين له.

وقد دان المجوس بالثّنوية في كل عصر وأصبح ذلك شعاراً لهم، فآمنوا بإلهين أثنين، وأحدهما النور أو إله الخير والثاني الظلام أو إله الشر .

أما البوذية في الهند وآسيا الوسطى، فقد تحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت، وتبني الهياكل، وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت ونزلت .

أما البراهمة دين الهند الأصلي، فقد أمتازت بكثرة المعبودات والآلهة وقد بلغت أوجها في القرن السادس الميلادي، ولاشك أن الديانة الهندوكية والبوذية وثنيتان سواء بسواء، لقد كانت الدنيا المعمورة من البحر الأطلسي الى المحيط الهادي غارقة في الوثنية .

وقد أشار النبي(صلى الله عليه وسلم) الى عموم هذا الفساد لجميع الأجناس وجميع المجالات بلا استثناء فقد قال(صلى الله عليه وسلم) ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مما علمني يومي هذا؛ كل مال نحلته) عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب" . والحديث يشير الى انحراف البشرية في جوانب متعددة كالشرك بالله، ونبذ شريعته وفساد المصلحين من حملة الأديان السماوية وممالأتهم للقوم على ضلالهم.

المحاضرة: الثالثة

((أصول العرب وحضارتهم))

أولاً: أصول العرب:

قسم المؤرخون أصول العرب الى ثلاثة أقسام بحسب السلالات التي أنحدروا منها:

١- العرب البائدة:

وهي قبائل عاد، وثمود، والعمالقة، وطسم، وجرهم وحضرموت ومن يتصل بهم وهذه درست معالمها واضمحلت من الوجود قبل الاسلام وكان لهم ملوك امتد ملكهم الى الشام ومصر.

٢- العرب العاربة:

وهم العرب المنحدرة من صلب يعرب بن يشجب بن قحطان وتسمى بالعرب القحطانية ويعرفون بعرب الجنوب ومنهم ملوك اليمن، ومملكة معين، وسبأ وحِمْيَر .

٣- العرب العدنانية:

نسبة الى عدنان الذي ينتهي نسبه الى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وهم المعروفون بالعرب المستعربة، أي الذين دخل عليهم دم ليس عربياً ثم تمّ اندماج بين هذا الدم وبين العرب، وأصبحت اللغة العربية لسان المزيج الجديد.

وهؤلاء هم عرب الشمال، موطنهم الأصلي مكة، وهم إسماعيل عليه السلام وأبناؤه، والجراهمة الذي تعلم منهم اسماعيل عليه السلام العربية، وصاهرهم، ونشأ أولاده عرباً مثلهم، ومن أهم ذرية إسماعيل (عدنان) جد النبي(صلى الله عليه وسلم) الأعلى ومن عدنان كانت قبائل العرب وبطونها فقد جاء بعد عدنان ابنه معدّ، ثم نزار، ثم جاء بعده ولده مضر وربيعة.

أما ربيعة بن نزار فقد نزل من انحدر من صلبه شرقاً، فقامت عبدالقيس في البحرين، وحنيفة في اليمامة، وبنو بكر بن وائل مابين البحرين واليمامة، وعبرت تغلب الفرات فأقامت في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات، وسكنت تميم في بادية البصرة .

أما فرع مضر: فقد نزلت سليم بالقرب من المدينة، وأقامت ثقيف في الطائف، واستوطنت سائر هوازن شرقي مكة، وسكنت أسد شرقي تيماء الى غربي الكوفة، وسكنت ذبيان وعبس من تيماء الى حوران وتقسيم العرب الى عدنانية وقحطانية هو ماعليه جمهرة علماء الأنساب وغيرهم من العلماء ومن العلماء من يرى أن العرب: عدنانية، وقحطانية ينتسبون الى إسماعيل(عليه الصلاة والسلام).

وقد ترجم البخاري في صحيحه لذلك فقال: باب نسبة اليمن الى اسماعيل عليه السلام، وذكر في ذلك حديثاً عن سلمة قال: خرج رسول الله(صلى الله عليه وسلم) على قوم يتناضلون بالسهام، فقال: (ارموا بني إسماعيل وأنا مع بني فلان) -لأحد الفريقين- فأمسكوا بأيديهم، فقال: (مالكم)؟ قالوا: كيف نرمي وأنت مع بني فلان؟ فقال: (ارموا وأنا معكم كلكم) وفي بعض الروايات: (ارموا بني اسماعيل، فإن أباكم كان رامياً).

قال البخاري: وأسلم بن أفص بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة، يعني: أن خزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم.

وولد الرسول(صلى الله عليه وسلم) من مضر، وقد أخرج البخاري عن كليب بن وائل قال: حدثتني ربيبة النبي(صلى الله عليه وسلم) زينب بنت ابي سلمة قال: (قلت لها: أرأيت النبي(صلى الله عليه وسلم) أكان من مضر؟ فقالت: فممن كان إلا من مضر؟ من بني النضر ابن كنانة).

وكانت قريش قد انحدرت من كنانة وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وانقسمت قريش الى قبائل شتى من أشهرها جمح وسهم وعدي ومخزوم وتيم وزهرة وبطون قصي بن كلاب وهي عبدالدار بن قصي وأسد بن عبدالعزى بن قصي، وعبد مناف بن قصي وكان من عبد مناف أربع فصائل: عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم... وبيت هاشم هو الذي اصطفى الله منه سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم(صلى الله عليه وسلم): قال(صلى الله عليه وسلم): (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) .

ثانياً: حضارات الجزيرة العربية:

نشأت من قديم الزمان ببلاد العرب حضارات أصيلة، ومدنيات عريقة من أشهرها:

١- حضارة سبأ باليمن:

وقد أشار القرآن الكريم إليها، ففي اليمن استفادوا من مياه الأمطار والسيول التي كانت تضيع في الرمال، وتنحدر الى البحار، فأقاموا الخزانات والسدود بطرق هندسية متطورة، كسد مأرب، واستفادوا بمياهها في الزروع المتنوعة، والحدائق ذات الأشجار والثمار الشهية، قال عزَّ وجل:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ

طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ}.

ودل القرآن الكريم على وجود قرى متصلة في الزمن الماضي مابين اليمن، الى بلاد الحجاز، الى بلاد الشام، وأن قوافل التجارة والمسافرين كانوا يخرجون من اليمن الى بلاد الشام، فلا يعدمون ظلاً، ولا ماءً، ولا طعاماً.

قال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} .

٢- حضارة عاد بالأحقاف:

وكان في شمال حضرموت وهم الذين ارسل الله إليهم نبي الله هود عليه السلام، وكانوا أصحاب بيوت مشيدة ، ومصانع متعددة، وجنات، وزروع وعيون، قال الله تعالى:{ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي، وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ،أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}.

٣- حضارة ثمود بالحجاز:

دل القرآن الكريم على وجود حضارة في بلاد الحِجْر وأشار الى ماكانوا يتمتعون به من القدرة على نحت البيوت في الجبال، وعلى ماكان يوجد في بلادهم من عيون وبساتين وزروع .

قال تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين، أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ، وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِين، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي}.

وقال فيهم أيضاً:{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} .

لقد زال كل ذلك من زمن طويل، ولم يبق إلا آثار ورسوم وأطلال، فقد اضمحلت القرى والمدن، وتخربت الدور والقصور، ونضبت العيون، وجفت الأشجار وأصبحت البساتين والزروع أرضاً جروزا.

المحاضرة: الرابعة

((الأحوال الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية عند العرب))

أولاً: الحالة الدينية:

ابتليت الأمة العربية بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيفة لا مثيل لها، وانحرافات خلقية، واجتماعية وفوضى سياسية، وتشريعية ومن ثم قل شانهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن يكونوا تابعين للدولة الفارسية أو الرومانية وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم تراث الآباء والأجداد واتباع ماكانوا عليه مهما يكن فيه من الزيغ والانحراف والضلال ومن ثم عبدو الاصنام، فكان لكل قبيلة صنم، فكان لهذيل بن مدركة: سواع، ولكلب: ود، لمذحج يغوث ولخيوان: يعوق، ولحمير: نسر، وكانت خزاعة وقريش تعبد أساف ونائلة، وكانت مناة على ساحل البحر، تعظمها العرب كافة والأوس والخزرج خاصة، وكانت اللات في ثقيف وكانت العزى فوق ذات عرق، وأعظم الأصنام عند قريش.

والى جانب هذه الأصنام الرئيسية يوجد عدد لا يحصى من الأصنام الصغيرة والتي يسهل نقلها في اسفارهم ووضعها في بيوتهم.

روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: (كانا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً آخر هو أخير ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جَثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به!!!).

أما البقية الباقية من دين ابراهيم عليه السلام فقد أصابها التحريف، والتغيير والتبديل، فصار الحج موسماً للمفاخرة والمنافرة، والمباهاة وانحرفت بقايا المعتقدات الحنفية عن حقيقتها وألصق بها من الخرافات والأساطير الشيء الكثير.

وكان يوجد بعض الأفراد من الحنفاء الذين يرفضون عبادة الأصنام وما يتعلق بها من الأحكام والنحائر وغيرها، ومن هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل، وكان لا يذبح للأنصاب، ولا يأكل الميتة والدم .وممن كان يدين بشريعة إبراهيم، وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، قس بن ساعدة الإيادي: فقد كان خطيباً، حكيماً، عاقلاً، له نباهة، وفضل، وكان يدعوا الى توحيد الله، وعبادته، وترك عبادة الأوثان، كما كان يؤمن بالبعث بعد الموت، وقد بشر بالنبي(صلى الله عليه وسلم)، وكان بعض العرب قد تنصر وبعضهم دخل في اليهودية أما الأغلبية فكانت تعبد الأوثان والأصنام.

ثانياً: الحالة السياسية:

كان سكان الجزيرة العربية ينقسمون الى بدو، وحضر وكان النظام السائد بينهم هو النظام القبلي، حتى في الممالك المتحضرة التي نشأت بالجزيرة، كمملكة اليمن في الجنوب ومملكة الحيرة في

الشمال الشرقي، ومملكة الغساسنة في الشمال الغربي، فلم تتصهر الجماعة فيها في شعب واحد، وإنما ظلت القبائل وحدات متماسكة.

والقبيلة العربية مجموعة من الناس، تربط بينها وحدة الدم(النسب)، ووحدة الجماعة، وفي ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي ينظم العلاقات بين الفرد والجماعة، على أساس من التضامن بينهما في الحقوق والواجبات، وهذا القانون العرفي كانت تتمسك به القبيلة في نظامها السياسي والاجتماعي.

وزعيم القبيلة ترشحه للقيادة منزلته القبلية وصفاته، وخصائصه من شجاعة ومرؤة، وكرم ونحوها، ولرئيس القبيلة حقوق أدبية ومادية، فالأدبية أهمها احترامه وتبجيله، والاستجابة لأمره، والنزول على حكمه وقضائه، وأما المادية فقد كان له في كل غنيمة تغنمها (المرباع) وهو ربع الغنيمة، و(الصفايا) وهو مايصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، و(النشيطة) وهي ماأصيب من مال العدو قبل اللقاء، و(الفضول) وهو ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة، وقد أجمل الشاعر العربي ذلك بقوله:

لك المرباع فينا، والصفايا... ... ... وحكمك، والنشيطة، والفضول

ومقابل هذه الحقوق واجبات ومسؤوليات، فهو في السلم جواد كريم، وفي الحرب يتقدم الصفوف، ويعقد الصلح، والمعاهدات.

والنظام القبلي تسود فيه الحرية، فقد نشأ العربي في جو طليق، وفي بيئة طليقة، ومن ثم كانت الحرية من أخص خصائص العرب، ويعشقونها ويأبون الضيم والذل وكل فرد في القبيلة ينتصر لها، ويشيد بمفاخرها، وأيامها، وينتصر لكل أفرادها محقاً أو مبطلاً، حتى صار من مبادئهم:(أنصر أخاك ظالماً، أو مظلوماً)

وكان شعارهم :

لايسألون أخاهم حين يندبهم... ... ... في النائبات على ماقل برهانا

والفرد في القبيلة تبع للجماعة، وقد بلغ من اعتزازهم برأي الجماعة أنه قد تذوب شخصيته في شخصيتها، قال دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غزِيَّة إن غَوَتْ... ... ... غويت، وإن ترشد غزية أرشد

وكانت كل قبيلة من القبائل العربية لها شخصيتها السياسية وهي بهذه الشخصية كانت تعقد الأحلاف مع القبائل الأخرى، وبهذه الشخصية ايضاً كان تشن الحرب عليها، ولعل من أشهر الأحلاف التي عقدت بين القبائل العربية، حلف الفضول، (حلف المطيبين) .

وكانت الحروب بين القبائل على قدم وساق ومن أشهر هذه الحروب حرب الفجار، وكان –عدا هذه الحروب الكبرى– تقع إغارات فردية بين القبائل تكون أسبابها شخصية أحياناً، أو طلب العيش أحياناً أخرى، إذ كان رزق بعض القبائل في كثير من الأحيان في حدِّ سيوفها، ولذلك

ماكانت القبيلة تأمن أن تنقض عليها قبيلة أخرى في ساعة من ليلٍ أو نهار لتسلب أنعامها ومؤنها، وتدع ديارها خاوية كأن لم تسكن بالأمس .

ثالثاً: الحالة الاقتصادية:

يغلب على الجزيرة العربية الصحاري الواسعة الممتدة، وهذا ماجعلها تخلو من الزراعة إلا في أطرافها وخاصة في اليمن والشام، وبعض الواحات المنتشرة في الجزيرة وكان يغلب على البادية رعي الإبل والغنم وكانت تنتقل القبائل بحثاً عن مواقع الكلأ وكانوا لايعرفون الاستقرار إلا في مضارب خيامهم.

وأما الصناعة فكانوا أبعد الأمم عنها، وكانوا يأنفون منها، ويتركون العمل فيها للأعاجم والموالي حتى عندما أرادوا بنيان الكعبة استعانوا برجل قبطي نجا من السفينة التي غرقت بجدة ثم أصبح مقيماً في مكة.

وإذا كانت الجزيرة العربية قد حُرمت من نعمتي الزراعة والصناعة، فإن موقعها الاستراتيجي بين افريقيا وشرق آسيا جعلها مؤهلة لأن تحتل مركزاً متقدماً في التجارة الدولية آنذاك.

وكان الذين يمارسون التجارة من سكان الجزيرة العربية هم أهل المدن، ولاسيما أهل مكة فقد كان لهم مركزاً ممتازاً في التجارة وكان لهم بحكم كونهم أهل الحرم منزلة في نفوس العرب، فلا يعرضون لهم، ولا لتجارتهم بسوء، وقد تمنن الله عليهم بذلك في القرآن الكريم: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} (سورة العنكبوت، الآية: ٦٧). وكانت لقريش رحلتان عظيمتان شهيرتان:

رحلة الشتاء الى اليمن، ورحلة الصيف الى الشام، يذهبون فيها آمنين بينما الناس يتخطفون من حولهم، هذا عدا الرحلات الاخرى التي يقومون بها طوال العام، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } .

وكانت القوافل تحمل الطيب والبخور، والصمغ، والتوابل والتمور، والروائح العطرية، والأخشاب الزكية، والعاج، والآبنوس، والخرز، والجلود، والبرود اليمنية والأنسجة الحريرية، والأسلحة وغيرها مما يوجد في شبه الجزيرة، أو يكون مستوراداً من خارجها، ثم تذهب به الى الشام وغيرها ثم تعود محملة بالقمح، والحبوب، والزبيب، والزيتون، والمنسوجات الشامية وغيرها. واشتهر اليمنيون بالتجارة، وكان نشاطهم في البر وفي البحار، فسافروا الى سواحل أفريقيا والى الهند وأندونيسيا، وسومطرة وغيرها من بلاد آسيا، وجزر المحيط الهندي أو البحر العربي ، وقد كان لهم فضل كبير بعد اعتناقهم الاسلام، في نشره في هذه الاقطار.

وكان التعامل بالربا منتشراً في جزيرة العرب ولعل هذا الداء الوبيل سرى الى العرب من اليهود، وكان يتعامل به الأشراف وغيرهم وكانت نسبة الربا في بعض الأحيان تصل الى أكثر من مئة في المئة.

وكان للعرب أسواق مشهورة: عكاظ، ومجنَّة، وذو المجاز، وقد استمرت هذه الأسواق في الاسلام الى حين من الدهر ثم دَرَست، ولم تكن هذه الأسواق للتجارة فحسب، بل كانت أسواقاً للأدب والشعر والخطابة يجتمع فيها فحول الشعراء ومصاقع الخطباء، ويتبارون فيها في ذكر أنسابهم، ومفاخرهم، ومآثرهم، وبذلك كانت ثروة كبرى للغة، والأدب، الى جانب ثروة تجارية.

المحاضرة :الخامسة

رابعاً: الحالة الاجتماعية:

هيمنت التقاليد والأعراف على حياة العرب وأصبحت لهم قوانين عرفية فيما يتعلق بالأحساب والأنساب، وعلاقة القبائل ببعضها والأفراد كذلك ويمكن إجمال الحالة الاجتماعية فيما يأتي:

١- الاعتزاز الذي لا حدّ له بالأنساب، والأحساب، والتفاخر بهما:

فقد حرصوا على المحافظة على أنسابهم، فلم يصاهروا غيرهم من الاجناس الاخرى، ولما جاء الاسلام قضى على ذلك وبين لهم أن التفاضل إنما هو بالتقوى والعمل الصالح.

٢- الاعتزاز بالكلمة، وسلطانها، لاسيما الشعر:

كانت تستهويهم الكلمة الفصيحة، والأسلوب البليغ، وكان شعرهم سجل مفاخرهم، وأحسابهم، وأنسابهم، وديوان معارفهم، وعواطفهم، فلا تعجب إذا كان نجم فيهم الخطباء المصاقع، والشعراء الفطاحل، وكان البيت من الشعر يرفع القبيلة، والبيت يخفضها، ولذلك ماكانوا يفرحون بشيء فرحهم بشاعر ينبغ في القبيلة.

٣- المرأة في المجتمع العربي:

كانت المرأة عند كثير من القبائل كسقط المتاع، فقد كانت تورث، وكان الابن الأكبر للزوج من غيرها من حقه أن يتزوجها بعد وفاة أبيه أو يَعْضلها عن النكاح، حتى حرّم الاسلام ذلك وكان الابن يتزوج امرأة أبيه، فنزل قول الله تعالى: {وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً}.

وكانت العرب تحرم نكاح الاصول كالأمهات، والفروع كالبنات، وفروع الأب كالأخوات، والطبقة الاولى من فروع الجد كالخالات والعمات.

وكانوا لا يورِّثون البنات ولا النساء ولا الصبيان، ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل، وبقي حرمان النساء والصغار من الميراث عرفاً معمولاً به عندهم الى أن توفى أوس بن ثابت في عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وترك بنتين كانت بهم دمامة، وابناً

صغيراً، فجاء ابنا عمه –وهما عصبته– فأخذا ميراثه كله، فقالت امرأته لهما: تزوجا البنتين، فابيا ذلك لدمامتهما، فأتت رسول الله فقالت: يارسول الله توفي أوس وترك ابناً صغيراً وابنتين، فجاء ابنا عمه سويد وعرفطة فأخذا ميراثه، فقلت لهما: تزوجا ابنتيه، فابيا. فقال عليه الصلاة والسلام: (لا تحركا من الميراث شيئاً) ،ونزل قوله تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} .

وكان العرب يعيّرون بالبنات، لأن البنت لا تخرج في الغزو، ولا تحمي البيضة من المعتدين عليها، ولا تعمل فتأتي بالمال شأن الرجال، وإذا ما سُبيت اتخذت للوطء تتداولها الأيدي لذلك، بل ربما أكرهت على احتراف البغاء ، وقد كان هذا يورث الهمَّ والحزن والخجل للأب عندما تولد له بنت وقد حدثنا القرآن الكريم عن حالة من تولد له بنت قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} .

وكثيراً ماكانوا يختارون دسها في التراب، ووأدها حية، ولا ذنب لها إلا أنها أنثى، ولذلك أنكر القرآن الكريم عليهم هذه الفعلة الشنيعة قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } .

وكان بعض العرب يقتل أولاده من خشية الفقر فجاء الاسلام وحرّم ذلك قال تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}، وكانت بعض القبائل لا تئد البنات، وكان فيهم من يستقبحون هذه الفعلة الشنعاء كزيد بن عمرو بن نفيل.

وكانت بعض القبائل تحترم المرأة، وتأخذ رأيها في الزواج، وكانت المرأة العربية الحرة تأنف أن تفترش لغير زوجها وحليلها وكانت تتسم بالشجاعة وتتبع المحاربين وتشجعهم، وقد تشارك في القتال إذا دعت الضرورة وكانت المرأة البدوية العربية تشارك زوجها في رعي الماشية، وسقيها، وتغزل الوبر والصوف، وتنسج الثياب، والبرود، والأكسية، مع التصون والتعفف.

٤– النكاح:

تعارف العرب على أنواع من النكاح، لا يعيب بعضهم على بعض إتيانها، وقد ذكرت لنا السيدة عائشة(رضي الله عنها) فقالت: (إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر: كان للرجل أن يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها: أرسلي الى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر: يجتمع الرهط مادون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو أبنك يافلان، تسمي من أحبت باسمه،

فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون عَلَماً، فمن أرادهنّ دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فيستلحق به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد(صلى الله عليه وسلم) بالحق هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح الناس اليوم).

وذكر بعض العلماء انواع اخرى لم تذكرها عائشة(رضي الله عنها) كنكاح الخِدْن وهو في قوله تعالى: {وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} وهو الى الزنا أقرب منه الى النكاح، وكنكاح المتعة وهو النكاح المعين بوقت، ونكاح البدل، ومن الأنكحة الباطلة نكاح الشِّغار وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق، وكانوا يحلون الجمع بين الأختين في النكاح، وكانوا يبيحون للرجل أن يجمع في عصمته من الزوجات ماشاء دون التقيد بعدد، وكان الذين جمعوا بين أكثر من أربع زوجات أكثر من أن ينالهم العدّ، وجاء الاسلام ومنهم من له العشرة من النساء والأكثر، والأقل، فقصر ذلك على أربع إن علم أنه يستطيع الإنفاق عليهن، والعدل بينهن، فإن خاف عدم العدل فليكتف بواحدة، وماكانوا في الجاهلية يلتزمون العدل بين الزوجات، وكانوا يسيئون عشرتهن، ويهضمون حقوقهن حتى جاء الاسلام فأنصفهن، وأوصى بالإحسان إليهنّ في العشرة، وقرر لهن حقوقاً ما كنّ يحلمن بها.

٥- الطلاق:

كانوا يمارسون الطلاق، ولم يكن للطلاق عندهم عدد محدّد، فكان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها هكذا أبداً، وبقي هذا الأمر معمولاً به في صدر الاسلام الى أن أنزل الله تبارك وتعالى قوله: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ..} .

فقيد الاسلام عدد الطلقات، وأعطى للزوج فرصة لتدراك أمره، ومراجعة زوجته مرتين، فإن طلقّ الثالثة فقد انقطعت عروة النكاح، ولا تحل له إلاّ بعد زوج آخر، ففي الكتاب الكريم: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ...} .

ومما كان يلحق بالطلاق في التحريم الظّهار، وهو أن يقول الزوج لزوجته: أنت علي كظهر أمي، وكان تحريماً مؤبداً حتى جاء الاسلام، فوسمه بأنه منكر من القول وزور، وجعل للزوج مخرجاً منه، وذلك بالكفارة قال تعالى: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ، وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

٦- الحروب، والسطو، والإغارة:

كانت الحروب تقوم بينهم لأتفه الأسباب، فهم لايبالون بشن الحروب وإزهاق الأرواح في سبيل الدفاع عن المثل الاجتماعية التي تعارفوا عليها وإن كانت لا تستحق التقدير، وقد روى لنا التاريخ سلسلة من أيام العرب في الجاهلية مما يدل على تمكن الروح الحربية من نفوس العرب وغلبتها على التعقل والتفكير، فمن تلك الأيام مثلاً يوم البسَوُس وقد قامت الحرب فيه بين بكر وتغلب بسبب ناقة للجَرْمي وهو جار للبسوس بنت منقذ خالة جساس بن مرة، وقد كان كليب سيد تغلب قد حمى لإبله مكاناً خاصاً به فرأى فيه هذه الناقة فرماها فجزع الجرمي وجزعت البسوس فلما رأى ذلك جساس تحين الفرصة لقتل كليب فقتله فقامت الحروب الطاحنة بين القبيلتين لمدة أربعين سنة.

وكذلك الحروب التي قامت بين الأوس والخزرج في الجاهلية وهم أبناء عم واستمرت الحروب بينهم وكان آخر أيامهم (بعاث) وذلك أن حلفاء الأوس من اليهود جددوا عهودهم معهم على النصرة وهكذا كان كثير من حروب الأوس والخزرج يذكيها اليهود حتى يضعفوا القبيلتين فتكون لهم السيادة الدائمة واستعان كل فريق منهم بحلفائه من القبائل المجاورة فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت نهايته لصالح الأوس.

وكانت بعض القبائل تسطو وتغير بغية نهب الأموال وسبي الأحرار وبيعهم، كزيد بن حارثة فقد كان عربياً حراً، وكسلمان الفارسي فقد كان فارسياً حراً، وقد قضى الاسلام على ذلك حتى كانت تسير المرأة والرجل من صنعاء الى حضرموت لا تخافان إلا الله والذئب على أغنامهم.

٧- العلم والقراءة والكتابة:

لم يكن العرب أهل كتاب وعلم كاليهود والنصارى، بل كان يغلب عليهم الجهل والأمية، والتقليد والجمود على القديم وإن كان باطلاً وكانت أمة العرب لاتكتب ولا تحسب وهذه هي الصفة التي كانت غالبة عليها وكان فيهم قليل ممن يكتب ويقرأ ومع أميتهم وعدم اتساع معارفهم فقد كانوا يشتهرون بالذكاء، والفطنة، والألمعية، وإرهاف الحس، وحسن الاستعداد، والتهيؤ لقبول العلم والمعرفة، والتوجيه الرشيد ولذلك لما جاء الاسلام صاروا علماء، حكماء، فقهاء، وزالت عنهم الأمية، وأصبح العلم والمعرفة من أخص خصائصهم وكان فيهم من مهر في علم قص الأثر، وهو القيافة وكان فيهم أطباء كالحارث ابن كلدة، وكان طبهم مبنياً على التجارب التي اكتسبوها من الحياة والبيئة.

المحاضرة:السادسة

خامساً: الحالة الأخلاقية:

كانت أخلاق العرب قد ساءت وأولعوا بالخمر والقمار وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا، والسرقة والزنا، ومما ينبغي أن يعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الرايات من البغايا، ويندر أن يكون في الحرائر، وليس أدل على هذا من أن النبي(صلى الله عليه وسلم) لما أخذ البيعة على النساء بعد الفتح: (على أن لايشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين) قالت هند بنت عتبة: أو تزني الحرة؟!!

وليس معنى هذا أنهم كانوا كلهم على هذا لا، لقد كان فيهم كثيرون لا يزنون، ولا يشربون الخمر، ولا يسفكون الدماء، ولايظلمون، ويتحرجون من أكل أموال اليتامى، ويتنزهون عن التعامل بالربا وكانت فيهم سمات وخصال من الخير كثيرة أهلتهم لحمل راية الاسلام .

<u>ومن تلك الخصال والسمات:</u>

١- الذكاء والفطنة:

فقد كانت قلوبهم صافية لم تدخلها تلك الفلسفات والأساطير والخرفات التي يصعب إزالتها كما في الشعوب الهندية والرومانية واليونانية والفارسية، فكأن قلوبهم كانت تعد لحمل أعظم رسالة في الوجود وهي دعوة الاسلام الخالدة ولهذا كانوا أحفظ شعب عرف في ذلك الزمن، وقد وجه الاسلام قريحة الحفظ والذكاء الى حفظ الدين وحمايته، فكانت قواهم الفكرية، ومواهبهم الفطرية مذخورة فيهم، لم تستهلك في فلسفات خيالية، وجدال بيزنطي عقيم، ومذاهب كلامية معقدة. واتساع لغتهم دليل على قوة حفظهم وذاكرتهم فإذا كان للعسل ثمانون اسماً وللثعلب مائتان وللأسد خمسمائة، فإن للجمل ألفاً، وللداهية نحو أربعة آلاف اسم، ولا شك أن استيعاب هذه الأسماء يحتاج الى ذاكرة قوية حاضرة وقادة.

٢- أهل كرم وسخاء:

كان هذا الخلق متأصل في العرب، وكان الواحد منهم لا يكون عنده إلا فرسه، أو ناقته، فيأتيه الضيف، فيسارع الى ذبحها، أو نحرها له وكان بعضهم لا يكتفي بإطعام الانسان بل كان يطعم الوحش، والطير، وكرم حاتم الطائي سارت به الركبان، وضربت به الأمثال.

٣- أهل الشجاعة ومروءة ونجدة:

كانوا يتمادحون بالموت قتلاً ويتهاجون بالموت على الفراش قال أحدهم لما بلغه قتل أخيه: إن يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه، إنا والله لا نموت حتفاً، ولكن قطعاً بأطراف الرماح، وموتاً تحت ظلال السيوف.

وكان العرب لا يقدمون شيئاً على العز وصيانة العرض، وحماية الحريم، واسترخصوا في سبيل ذلك نفوسهم . فكانوا بفطرتهم أصحاب شهامة ومروءة؛ فكانوا يأبون أن ينتهز القوي الضعيف، أو العاجز، أو المرأة أو الشيخ وكانوا إذا استنجد بهم أحد أنجدوه ويرون من النذالة التخلي عن من لجأ إليهم.

٤-عشقهم للحرية، وإباءهم للضيم والذل:

كان العربي بفطرته يعشق الحرية يحيا لها، ويموت من أجلها، فقد نشأ طليقاً لا سلطان لأحد عليه، ويأبى أن يعيش ذليلاً، أو يمس في شرفه وعرضه ولو كلفه ذلك حياته، فقد كانوا يأنفون من الذل ويأبون الضيم ، والاصتصغار والاحتقار .

٥- الوفاء بالعهد وحبهم للصراحة والوضوح والصدق:

كانوا يأنفون من الكذب ويعيبونه، وكانوا أهل وفاء، ولهذا كانت الشهادة باللسان كافية للدخول في الاسلام: وقصة ابي سفيان مع هرقل لما سأله عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وكانت الحروب بينهم قائمة قال: (لولا أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عليه).

٦- الصبر على المكاره وقوة الاحتمال، والرضا باليسير:

كانوا يقومون من الأكل ويقولون البطنة تذهب الفطنة، ويعيبون الرجل الأكول الجشع قال شاعرهم:

إذا مدت الأيدي الى الزاد لم أكن... ... ... باعجلهم إذا أجشع القوم أعجل

وكانت لهم قدرة عجيبة على تحمل المكاره والصبر في الشدائد وربما اكتسبوا ذلك من طبيعة بلادهم الصحراوية الجافة، قليلة الزرع والماء، فألفوا اقتحام الجبال الوعرة، والسير في حرّ الظهيرة ولما دخلوا الاسلام ضربوا أمثلة رائعة في الصبر، والتحمل .

٧- قوة البدن وعظمة النفس:

واشتهروا بقوة اجسادهم مع عظمة النفس وقوة الروح، وإذا اجتمعت البطولة النفسية الى البطولة الجسمانية صنعتا العجائب، وهذا ماحدث بعد دخولهم في الإسلام.

٨- العفو عند المقدرة وحماية الجار:

وكانوا ينازلون اقرانهم وخصومهم، حتى اذا تمكنوا منهم عفوا عنهم وتركوهم ويأبون أن يجهزوا على الجرحى، وكانوا يرعون حقوق الجيرة، ولاسيما رعاية النساء والمحافظة على العرض قال شاعرهم:

وأغضُّ طرفي إن بدت لي جارتي... ... ... حتى يواري جارتي مأواها

وكانوا إذا استجار أحد الناس بهم أجاروه، وربما ضحوا بالنفس والولد والمال في سبيل ذلك.

هذه بعض أخلاق المجتمع الذي نشأ فيه الانسان العربي فهو أفضل المجتمعات، لهذا اختير (صلى الله عليه وسلم)، واختير له هذا المجتمع العربي، وهذه البيئة النادرة، وهذا الوسط الرفيع

مقارنة بالفرس والروم والهنود واليونان، فلم يختر من الفرس على سعة علومهم ومعارفهم ولا من الهنود على عمق فلسفاتهم، ولا من الرومان على تفننهم ، ولا من اليونان على عبقرية شاعريتهم وخيالهم، وإنما اختير من هذه البيئة البكر، لأن هؤلاء الأقوام وإن كانوا على ماهم عليه وماهم فيه من علوم ومعارف، إلا أنهم لم يصلوا الى ماوصل إليه العرب من سلامة الفطرة، وحرية الضمير، وسمو الروح.

المحاضرة:السابعة

أهم الاحداث قبل مولد الحبيب المصطفى(صلى الله عليه وسلم)

أراد الله سبحانه وتعالى أن يرحم البشرية ويكرم الإنسانية فحان وقت الخلاص بمبعث الحبيب(صلى الله عليه وسلم) وقبل أن نشرع في بيان ميلاده الكريم ونشأته العزيزة، ورعاية الله له قبل نزول الوحي عليه وسيرته العطرة قبل البعثة، نريد أن نتحدث عن الآيات العظيمة، والأحداث الجليلة التي سبقت ميلاده عليه الصلاة والسلام، فقد سبق مولده الكريم أموراً عظيمة دلت على اقتراب تباشير الصباح. ومن أهم هذه الأحداث:

أولاً: قصة حفر عبد المطلب جد النبي(صلى الله عليه وسلم) لزمزم:

كان عبد المطلب بن هاشم جد الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) يسقي الحجيج الذين يأتون للطواف حول الكعبة، ويقوم على رعاية بيت الله الحرام فالتف الناس حوله، فكان زعيمهم وأشرفهم، وكان عبدالمطلب يتمنى لو عرف مكان بئر زمزم ليحفرها؛ لأنها كانت قد ردمت بمرور السنين، ولم يَعُد أحد يعرف مكانها، فرأى في منامه ذات ليلة مكان بئر زمزم، فأخبر قومه بذلك ولكنهم لم يصدقوه، فبدأ عبدالمطلب في حفر البئر هو وابنه الحارث، والناس يسخرون منهما، وبينما هما يحفران، تفجر الماء من تحت أقدامهما، والتف الناس حول البئر مسرورين، وظن عبدالمطلب أنهم سيشكرونه، لكنه فوجئ بهم ينازعونه امتلاك البئر، فشعر بالظلم والضعف لأنه ليس له أبناء إلا الحارث، وهو لا يستطيع نصرته، فإذا به يرفع يديه إلى السماء، ويدعو الله أن يرزقه عشرة أبناء من الذكور، ونذر أن يذبح أحدهم تقربًا لله.

استجاب الله دعوة عبد المطلب، فرزقه عشرة أولاد، وشعر عبد المطلب بالفرحة فقد تحقق رجاؤه، ورزق بأولاد سيكونون له سندًا وعونًا، لكن فرحته لم تستمر طويلا؛ فقد تذكر النذر الذي قطعه على نفسه، فعليه أن يذبح واحدًا من أولاده، فكر عبدالمطلب طويلا، ثم ترك الاختيار لله تعالى، فأجرى قرعة بين أولاده، فخرجت القرعة على عبد الله أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه، فأصبح في حيرة؛ أيذبح ولده الحبيب أم يعصى الله ولا يفي بنذره؟ فاستشار قومه، فأشاروا عليه بأن يعيد القرعة، فأعادها مرارًا، لكن القدركان يختار عبدالله في كل مرة، فازداد قلق عبدالمطلب، فأشارت عليه كاهنة بأن يفتدي ولده بالإبل، فيجري القرعة بين عبدالله وعشرة من الإبل، ويظل يضاعف

عددها، حتى تستقر القرعة على الإبل بدلا من ولده، فعمل عبدالمطلب بنصيحة الكاهنة، واستمر في مضاعفة عدد الإبل حتى بلغت مائة بعير، وعندئذ وقعت القرعة عليها، فذبحها فداء لعبد الله، وفرحت مكة كلها بنجاة عبد الله، وذبح له والده مائة ناقة فداءً له، وازداد عبد المطلب حبًّا لولده، وغمره بعطفه ورعايته.

وقد ورد في فضل ماء زمزم أحاديث كثيرة فمنها.

مارواه مسلم في صحيحه في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه): (إنها طعامُ طُعْم) ، وعن ابن عباس عن النبي(صلى الله عليه وسلم): (ماء زمزم لما شرب له).

ثانياً: قصة أصحاب الفيل:

هذه الحادثة ثابتة بالقرآن الكريم والسنّة النبوية، وأتت تفاصيلها في كتب السير والتاريخ، وذكرها المفسرون في كتبهم. ذات يوم، استيقظ أهل مكة على خبر أصابهم بالفزع والرعب، فقد جاء ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي بجيش كبير، يتقدمه فيل ضخم، يريد هدم الكعبة حتى يتحول الحجيج إلى كنيسته التي بناها في اليمن، وأنفق عليها أموالا كثيرة، واقترب الجيش من بيت الله الحرام، وظهر الخوف والهلع على وجوه أهل مكة، والتف الناس حول عبدالمطلب الذي قال لأبرهة بلسان الواثق من نصر الله تعالى: (للبيت رب يحميه).

فازداد أبرهة عنادًا، وأصرَّ على هدم الكعبة، فوجه الفيل الضخم نحوها، فلما اقترب منها أدار الفيل ظهره ولم يتحرك،، وأرسل الله طيورًا من السماء تحمل حجارة صغيرة، لكنها شديدة صلبة، ألقت بها فوق رءوس جنود أبرهة فقتلتهم وأهلكتهم قال تعالى: {أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } ، وفي هذا العام ولد الرسول(صلى الله عليه وسلم).

أما إشارات الرسول(صلى الله عليه وسلم) الى الحادث فمنها:

أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) لما خرج زمن الحديبية سار حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت بها راحلته فقال الناس! حَل حَل ، فألحت فقالوا: خلأت القصواء فقال النبي(صلى الله عليه وسلم): (ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل)

<u>دروس وعبر وفوائد من حادثة الفيل:</u>

١- بيان شرف الكعبة أول بيت وضع للناس، وكيف أن مشركي العرب كانت تعظمه وتقدسه ولا يقدمون عليه شيء وتعود هذه المنزلة الى بقايا ديانة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

٢- حسد النصارى وحقدهم على مكة، وعلى العرب الذين يعظمون هذا البيت، ولذلك أراد أبرهة أن يصرف العرب عن تعظيم بيت الله ببناء كنيسة القليس وعلى الرغم من استعماله أساليب الترغيب والترهيب إلا أن العرب أمتنعوا ووصل الأمر الى مداه بأن أحدث في كنيسة القليس أحد الأعراب .

٣- التضحية في سبيل المقدسات:

قام ملك من ملوك حِميَر في وجه جيش إبرهة ووقع الملك أسيراً، وقام النفيل بن حبيب الخثعمي ومن اجتمع معه من قبائل اليمن فقاتلوا إبرهة إلا أنهم انهزموا أمام الجيش العرمرم وبذلوا دماءهم دفاعاً عن مقدساتهم.إن الدفاع عن المقدسات والتضحية في سبيلها شيء غريزي في فطرة الانسان.

٤- خونة الأمة مخذولون:

فهؤلاء العملاء الذين تعاونوا مع إبرهة وصاروا عيوناً له وجواسيس وأرشدوه الى بيت الله العتيق ليهدمه، لعنوا في الدنيا والآخرة، لعنهم الناس ولعنهم الله سبحانه وتعالى وأصبح قبر أبي رغال رمزاً للخيانة والعمالة وصار ذاك الرجل مبغوضاً في قلوب الناس وكلما مر أحد على قبره رجمه.

٥- حقيقة المعركة بين الله وأعدائه:

في قول عبد المطلب زعيم مكة: (سنخلي بينه وبين البيت فإن خلى الله بينه وبينه، فوالله مالنا به قوة) وهذا تقرير دقيق لحقيقة المعركة بين الله وأعدائه فمهما كانت قوة العدو وحشوده فإنها لاتستطيع الوقوف لحظة واحدة أمام قدرة الله وبطشه ونقمته فهو سبحانه واهب الحياة وسالبها في أي وقت شاء.

٦- تعظيم الناس للبيت وأهله:

ازداد تعظيم العرب لبيت الله الحرام الذي تكفل بحفظه وحمايته من عبث المفسدين، وكيد الكائدين، واعظمت العرب قريشاً، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم العدو، وكان ذلك آية من الله، ومقدمة لبعثة نبي يبعث من مكة ويطهر الكعبة من الأوثان، ويعيد لها ماكان لها من رفعة وشأن.

٧- قصة الفيل من دلائل النبوة:

قال بعض العلماء أن حادثة الفيل من شواهد النبوة ودلالاتها ، قال الماوردي(رحمه الله): وآية الرسول في قصة الفيل أنه كان في زمانه حملاً في بطن أمه بمكة، لأنه ولد بعد خمسين يوماً من الفيل، وبعد موت أبيه في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فكانت آية في ذلك من وجهين:

أحدهما: أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا، فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجري عليه السبي حملاً ووليداً.

والثاني: أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم، وماهم أهل كتاب لأنهم كانوا بين عابد صنم، أو متدين وثن أو قائل بالزندقة، أو مانع من الرجعة،ولما انتشر في العرب ماصنع الله تعالى في جيش الفيل تهيبوا الحرم وأعظموه، وزادت حرمته في النفوس، ودانت لقريش بالطاعة، وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم، فزادوهم تشريفاً وتعظيماً،

وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية والوفادة مال تخرجه قريش في كل عام من أموالهم يصنعون به طعاماً للناس أيام منى، فصاروا أئمة ديانين، وقادة متبوعين، وصار أصحاب الفيل مثلاً في الغابرين.

٨- حفظ الله للبيت العتقيق:

وهي أن الله لم يقدر لأهل الكتاب أبرهة وجنوده – أن يدمروا البيت الحرام أو يسيطروا على الأرض المقدسة. حتى والشرك يُدنسه، والمشركون هم سدنته ليبقى هذا البيت عتيقاً من سلطان المتسلطين، مصوناً من كيد الكائدين وليحفظ لهذه الأرض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حُرة طليقة، لايهيمن عليها سلطان، ولايطغى فيها طاغية ولايهيمن على هذا الدين الذي جاء ليهيمن على الأديان، وعلى العباد، ويقود البشرية ولايقاد، وكان هذا من تدبير الله لبيته ولدينه قبل أن يُعلم أحد أن نبي هذا الدين قد ولد في هذا العام.

٩- جعل الحادثة تاريخٌ للعرب:

استعظم العرب ماحدث لأصحاب الفيل، فأرخوا به، وقالوا وقع هذا عام الفيل وولد فلان عام الفيل ووقع هذا بعد عام الفيل بكذا من السنين، وعام الفيل صادف عام ٥٧٠م).

المحاضرة:الثامنة

((من المولد النبوي الكريم إلى حلف الفضول))

أولاً: نسب النبي(صلى الله عليه وسلم):

إن النبي(صلى الله عليه وسلم) أشرف الناس نسباً وأكملهم خَلْقاً وخُلُقاً وقد ورد في شرف نسبه أحاديث صحاح منها مارواه الإمام مسلم(رحمه الله): أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال:(إن الله عز وجل- اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

وقد ذكر الإمام البخاري نسب النبي(صلى الله عليه وسلم): فقال:(هو أبو القاسم، محمد بن عبدالله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، ابن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان).

وقد جاء عن ابن سعد في طبقاته:(الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل).

قال الذهبي في كتاب السيرة النبوية:(وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء).

وام النبي(صلى الله عليه وسلم)هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

إن معدن النبي(صلى الله عليه وسلم) طيب ونفيس، فهو من نسل إسماعيل الذبيح وإبراهيم خليل الله واستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام وبشارة أخيه عيسى عليه السلام كما حدّث هو عن نفسه، فقال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى.

ان طيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بعاليها وفضائلها والرسل والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وطهر أصلابهم، ويعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويثقون بهم.

ومما تبين يتضح لنا من نسبه الشريف، دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى ميز العرب على سائر الناس، وفضل قريشاً على سائر القبائل الأخرى، ومقتضى محبة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها، لامن حيث الأفراد والجنس بل من حيث الحقيقة المجردة ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية، قد شرف كل منها – ولا ريب – بانتساب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) إليها، ولاينافي ذلك مايلحق من سوء بكل من قد انحرف من العرب إو القرشيين، عن صراط الله عز وجل، وانحط عن مستوى الكرامة الإسلامية التي اختارها الله لعباده، لأن هذا الإنحراف أو الإنحطاط من شأنه أن يؤدي بما كان من نسبة بينه وبين الرسول(صلى الله عليه وسلم) ويلغيها من الاعتبار .

ثانياً: زواج عبدالله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب .

كان عبد الله أكرم شباب قريش أخلاقًا، وأجملهم منظرًا، ومن أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبدالمطلب بمائة من الإبل، أراد والده عبد المطلب أن يزوجه، فاختار له زوجة صالحة، هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أطهر نساء بني زهرة، وسيدة نسائهم، والسيدة آمنة تلتقي في نسبها مع عبدالله والد النبي(صلى الله عليه وسلم) في كلاب بن مرة، وتمر الأيام، ويخرج عبدالله في تجارة إلى الشام، بعد أن ترك زوجته آمنة حاملا ولحكمة يعلمها الله، مات عبد الله قبل أن يرى وليده ، ولم يكن زواج عبدالله من آمنة هو بداية أمر النبي(صلى الله عليه وسلم)، قيل للنبي(صلى الله عليه وسلم) ما أول بدء أمرك : فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) :(أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام).

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله:{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} .

وبشرى عيسى: كما أشار إليه قوله عزوجل:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} .

وقوله:(ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام)، قال ابن رجب الحنبلي(رحمه الله): (وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى مايجيئ به من النور الذي اهتدى

به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى:{ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

وقال ابن كثير: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى بن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها .

ثالثاً: ميلاد الحبيب المصطفى(صلى الله عليه وسلم):

ولد الحبيب المصطفى(صلى الله عليه وسلم) يوم الإثنين من شهر ربيع الأول بلا خلاف، والأكثرون على أنه ليلة الثاني عشر منه، والمجمع عليه أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل الذي يوافق عام(٥٧١م) وكانت والدته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم ، ولدت السيدة آمنة بنت وهب زوجة عبد الله بن عبد المطلب غلامًا جميلا، مشرق الوجه، وخرجت ثويبة الأسلمية خادمة أبي لهب عم النبي(صلى الله عليه وسلم) تهرول إلى سيدها أبي لهب، ووجهها ينطق بالسعادة، وما كادت تصل إليه حتى همست له بالبشرى، فتهلل وجهه، وقال لها من فرط سروره: اذهبي فأنت حرة! وأسرع عبد المطلب إلى بيت ابنه عبد الله ثم خرج حاملا الوليد الجديد، ودخل به الكعبة مسرورًا كأنه يحمل على يديه كلَّ نعيم الدنيا، وأخذ يضمه إلى صدره ويقبله في حنان بالغ، ويشكر الله ويدعوه، وألهمه الله أن يطلق على حفيده اسم محمد.

قال أحمد شوقي(رحمه الله) في مولد الحبيب المصطفى(صلى الله عليه وسلم) :

ولد الهدى فالكائنات ضياءُ... ... ... وفم الزمان تبسُّم وثناء

والعرش يزهو، والحظيرة تزدهي... ... ... والمنتهى والسِّدرة العصماء

بك بشَّر الله السماء فزينت... ... ... وتضوَّعت مِسْكاً بك الغبراء

توفي أبوه عبد الله وهو حَمل في بطن أمه على المشهور.

وروى محمد بن إسحاق عن حسان بن ثابت قال:

والله؛ إني لغلام يفعة؛ ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بـ(يثرب): يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك مالك؟! قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به.

رابعاً: مرضعاته عليه الصلاة والسلام:

كانت حاضنته(صلى الله عليه وسلم) أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته ثويبة أمة عمه أبي لهب فمن حديث زينب إبنة أبي سلمة أنّ أمّ حبيبة(رضي الله عنها) أخبرتها أنها قالت:(يارسول الله، أنكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: أو تحبين ذلك؟ فقالت: نعم، لست لك

بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي). فقال النبي(صلى الله عليه وسلم):(إنّ ذلك لايحل لي. قلت: فإنا نتحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة. قال: بنت أم سلمة؟ قلت: نعم. فقال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حَلَّت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضنَّ عليَّ بناتكن ولا أخواتكن).

وكان من شأن أم أيمن، أم اسامة بن زيد، أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبدالمطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، بعد ما توفي أبوه، فكانت أم أيمن تحضنه، حتى كبر رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فأعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة ثم توفيت بعدما توفي(صلى الله عليه وسلم) بخمسة أشهر.

حكاية مرضعة الرسول(صلى الله عليه وسلم):

جاءت المرضعات من قبيلة بني سعد إلى مكة؛ ليأخذن الأطفال الرُّضَّع إلى البادية حتى ينشئوا هناك أقوياء فصحاء، قادرين على مواجهة أعباء الحياة، وكانت كل مرضعة تبحث عن رضيع من أسرة غنية ووالده حي؛ ليعطيها مالاً كثيرًا، لذلك رفضت كل المرضعات أن يأخذن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) لأنه يتيم، وأخذته السيدة حليمة السعدية لأنها لم تجد رضيعًا غيره، وعاش محمد(صلى الله عليه وسلم) في قبيلة بني سعد، فكان خيرًا وبركة على حليمة وأهلها، حيث اخضرَّت أرضهم بعد الجدب والجفاف، وجرى اللبن في ضروع الإبل.

<u>– دروس وعبر:</u>

أ– بركة النبي(صلى الله عليه وسلم) على السيدة حليمة! فقد ظهرت هذه البركة على حليمة السعدية في كل شيء، ظهرت في إدرار ثديها وغزارة حليبها، وقد كان لايكفي ولدها، وظهرت بركته في سكون الطفل ولدها، وقد كان كثير البكاء مزعجاً لامه يؤرقها ويمنعها من النوم، وإذا هو شبعان ساكن جعل أمه تنام وتستريح، وظهرت بركته في شياههم العجفاوات التي لاتدر شيئاً وإذا بها تفيض من اللبن الكثير الذي لم يعهد .

ب– كانت هذه البركات من أبرز مظاهر إكرام الله له، وليس أن أكرم بسببه بيت حليمة السعدية التي تشرفت بإرضاعه. وليس من ذلك غرابة ولا عجب ، فخلف ذلك حكمة أن يُحب أهل هذا البيت هذا الطفل ويحنوا عليه ويحسنوا في معاملته ورعايته وحضانته، وهكذا كان فقد كانوا أحرص عليه وأرحم به من أولادهم .

ج– خيار الله للعبد أبرك وأفضل:

اختارا لله لحليمة هذا الطفل اليتيم وأخذته على مضض لأنه لم تجد غيره، فكان الخير كل الخير فيما اختاره الله، وبانت نتائج هذا الاختيار مع بداية أخذه وهذا درس لكل مسلم بأن يطمئن قلبه الى قدر الله واختياره والرضا به ولا يندم على مامضى ومالم يقدره الله تعالى.

د- أثر البادية في صحة الأبدان وصفا النفوس، وذكاء العقول:
تنشئة الأولاد في البادية، ليمرحوا في كنف الطبيعة، ويستمتعوا بجوها الطلق وشعاعها المرسل، أدنى الى تزكية الفطرة، وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق الأفكار والعواطف.
وكثير من علماء التربية يود لو تكون الطبيعة هي المعهد الأول للطفل حتى تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه ويبد أن هذا حلم عسر التحقيق .
وتعلم رسول الله(صلى الله عليه وسلم) في بادية بني سعد اللسان العربي الفصيح وأصبح فيما بعد من أفصح الخلق، فعندما قال له ابو بكر (رضي الله عنه) يارسول الله مارأيت افصح منك. فقال(صلى الله عليه وسلم):(وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت من بني سعد) .

المحاضرة: التاسعة

حادثة شق الصدر:

تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة شق الصدر في صغره، فعن أنس بن مالك:(أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون الى أمه-يعني ظئره- فقالوا:إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.
قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره .
ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش .
خامساً: وفاة أمه وكفالة جده ثم عمه:
توفيت أم النبي(صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم، فماتت وهي راجعة به الى مكة ودفنت بالأبواء وبعد وفاة أمه كفله جده عبدالمطلب، فعاش في كفالته وكان يؤثره على أبنائه أي أعمام النبي(صلى الله عليه وسلم) فقد كان جده مهيباً لا يجلس على فراشه أحد من أبنائه مهابة له، وكان أعمامه يتهيبون الجلوس على فراش أبيهم، وكان(صلى الله عليه وسلم) يجلس على الفراش ويحاول أعمامه أن يبعدوه عن فراش ابيهم فيقف الأب الجد بجانبه ويرضى أن يبقى جالساً على فراشه متوسماً فيه الخير وأنه سيكون له شأن عظيم ، وكان جده يحبه حباً عظيماً

وكان إذا ارسله في حاجة جاء بها وذات يوم أرسله في طلب إبل فاحتبس عليه فطاف بالبيت وهو يرتجل يقول:

رب رد راكبي محمداً... ... رده لي واصنع عندي يداً

فلما رجع النبي(صلى الله عليه وسلم) وجاء بالإبل فقال له: يابني: لقد حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقني ابداً .

ثم توفي عبدالمطلب والنبي(صلى الله عليه وسلم) في الثامنة من عمره ، فأوصى جده به عمه أبا طالب فكفله عمه وحنّ عليه ورعاه .

أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيماً، تتولاه عناية الله وحدها بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه الى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فيلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وكانت المصائب التي أصابت النبي(صلى الله عليه وسلم) منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكِبْر والغرور، وتجعلها أكثر رقة وتواضعاً.

وليست وفاة والديه في العشرينات من حياتهما ناشئة عن هزالهما وضعف بنيتهما.. وإنما توفاهما الله بعد أن قاما بالمهمة التي وجدا من أجلها، ليتأسى بمحمد(صلى الله عليه وسلم) كل من فقد والديه أو أحدهما وهو صغير، وليكون أدبه وخلقه مع يتمه دليلاً على أن الله تعالى تولى رعايته وتأديبه، وحتى ينشأ قوي الإرادة ماضي العزيمة غير معتمد على أحد في شؤونه، وحتى لايكون لأبويه أي أثر في دعوته وحتى لا تتدخل يد البشرية في تربيته وتوجيهه، فيكون الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تربيته، ولا يتلقى أو يتلقن من مفاهيم الجاهلية وأعرافها شيئاً، إنما يتلقى من لدن الحكيم الخبير فالله سبحانه وتعالى آواه، وسخر له جده وعمه لتهيئة الجانب المادي، بينما كانت التربية النفسية والخلقية والفكرية تعهداً ربانياً، ورعاية إلهية .

سادساً: عمله(صلى الله عليه وسلم) في الرعي:

كان ابو طالب مقلاً في الرزق فعمل النبي(صلى الله عليه وسلم) برعي الغنم مساعدة منه لعمه، فلقد أخبر(صلى الله عليه وسلم) عن نفسه الكريمة وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعوا الغنم، أما هو فقد رعاها لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): (مابعث الله نبياً إلا رَعى الغنم فقال: أصحابه: وأنت يارسول الله؟ وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط) ، إن رعي الغنم كان يتيح للنبي(صلى الله عليه وسلم) الهدوء الذي تتطلبه نفسه الكريمة، ويتيح له المتعة بجمال الصحراء، ويتيح له التطلع الى مظاهر جلال الله

في عظمة الخلق، ويتيح له مناجاة الوجود في هدأة الليل وظلال القمر ونسمات الأشجار يتيح له لوناً من التربية النفسية من الصبر والحلم والأناة والرأفة والرحمة .

ورعي الغنم يتيح لصاحبه عدة خصال تربوية منها:

١- الصبر على الرعي من طلوع الشمس الى غروبها، نظراً لبطئ الغنم في الأكل، فيحتاج راعيها الى الصبر والتحمل، وكذا تربية البشر .

٢- التواضع: إذ طبيعة عمل الراعي خدمة الغنم والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها والنوم بالقرب منها، وربما أصابه ماأصابه من رذاذ بولها أو شيء من روثها فلم يتضجر من هذا، ومع المداومة والاستمرار يبعد عن نفسه الكبر والكبرياء ويرتكز في نفسه خلق التواضع .

٣- الشجاعة: فطبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة، فلابد أن يكون على جانب كبير من الشجاعة تؤهله للقضاء ولمنع الوحوش من افتراس أغنامه .

٤- الرحمة والعطف: إن الراعي يقوم بمقتضى عمله في مساعدة الغنم إن هي مرضت أم كُسرت أو أصيبت، وتدعوا حالة مرضها وألمها الى العطف عليها وعلاجها والتخفيف من آلامها، فمن يرحم الحيوان يكون أشد رحمة بالإنسان وبخاصة إذا كان رسولاً أرسله الله تبارك وتعالى لتعليم الإنسان وإرشاده وإنقاذه من النار وإسعاده في الدارين .

٥- حب الكسب من عرق الجبين:إن الله قادر على أن يغني محمداً(صلى الله عليه وسلم) عن رعي الغنم، ولكن هذه تربية له ولأمته للأكل من كسب اليد وعرق الجبين وصاحب الدعوة يجب أن يستغني عن ما في أيدي الناس ولا يعتمد بدعوته عليهم، فبذلك تبقى قيمته وترتفع منزلته، ويبتعد عن الشبه والتشكيك فيه، ويتجرد عمله لله تعالى، ويرد شبهة الكفرة الظلمة الذين يصورون للناس ان الأنبياء أرادوا الدنيا بدعوتهم .

روى البخاري عن المقدام(رضي الله عنه) عن رسول الله قال: (ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .

المحاضرة: العاشرة

سابعاً: حفظ الله تعالى لنبيه قبل البعثة:

إن الله تعالى صان نبيه(صلى الله عليه وسلم) عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام روى الإمام أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه(رضي الله عنه) قال: "حدثني جار لخديجة(رضي الله عنها) أنه سمع النبي(صلى الله عليه وسلم) وهو يقول لخديجة : أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزى. قال: كان صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون ، وكان لا يأكل ماذبح على النصب" ، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل .

وقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب ودواعيه ، فعن علي بن أبي طالب(رضي الله عنه): سمعت رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقول: (ماهممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهموّن به، إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها: (أبصر إلي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسهر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ماهذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت فقال: مافعلت؟ فأخبرته. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ماقيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: مافعلت شيئاً. قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): فوالله ماهممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته .

ثامناً: لقاء الراهب بحيرا بالرسول وهو غلام:

خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي(صلى الله عليه وسلم) في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب ، هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يسيرون، فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت. فبينما هم يحلون رحالهم جعل الراهب يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً، ولايسجدان إلا لنبيّ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة، فلما جلس مال فئ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم أن لايذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ماجاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبقى طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره، بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب .

ومما يستفاد من قصة بحيرا عدة أمور منها:

١- إن الصادقين من رهبان أهل الكتاب يعلمون أن محمداً(صلى الله عليه وسلم) هو الرسول للبشرية، وعرفوا ذلك لما وجدوه من إمارات وأوصاف عنه في كتبهم.

٢- إثبات سجود الشجر والحجر للنبي(صلى الله عليه وسلم)، وتظليل الغمام له وميل فئ الشجرة عليه.

٣- إن النبي(صلى الله عليه وسلم) استفاد من سفره وتجواله مع عمه وبخاصة من أشياخ قريش، حيث اطلع على تجارب الآخرين وخبرتهم، والاستفادة من آرائهم، فهم أصحاب خبرة، ودراية، وتجربة لم يمر بها النبي(صلى الله عليه وسلم) في سنه تلك.

٤- حذر بحيرا من النصارى، وبين أنهم إذا علموا بالنبي(صلى الله عليه وسلم) أنه سيقتلونه وناشد عمه وأشياخ مكة ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة يقتلونه، لقد كان الرومان على علم بأن مجئ هذا الرسول سيقضي على نفوذهم الاستعماري في المنطقة، ومن ثم فهو العدو الذي سيقضي على مصالح دولة روما، ويعيد هذه المصالح إلى أربابها، وهذا مايخشاه الرومان.

تاسعاً: حرب الفجار:

اندلعت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين هوازن وسببها أن عروة الرحّال بن عتبة ابن هوازن أجار لطيمة -وهي الجمال التي تحمل الطيب والبز والتجارة - للنعمان ابن المنذر إلى سوق عكاظ.

فقال البرَّاض بن قيس ابن كنانة اتجيرها على كنانة؟ قال نعم، وعلى الخلق فخرج بها عروة، وخرج البراض يطلب غفلته حتى قتله، وعلمت بذلك كنانة فارتحلوا وهوازن لاتشعر بهم.

ثم بلغهم الخبر، فاتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن. ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً وعاونت قريش كنانة وشهد محمد(صلى الله عليه وسلم) بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم.

وسميت يوم الفجار بسبب ما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب .

وقد قال(صلى الله عليه وسلم) عن تلك الحرب (كنت أُنبِّل على أعمامي). أي: أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها ، وكان(صلى الله عليه وسلم) حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشر سنة، وقيل ابن عشرين، ويرجح الأول أنه كان يجمع النبال، ويناولها لأعمامه، مما يدل على حداثة سنه.

وبذلك اكتسب الجرأة والشجاعة، والإقدام، وتمرن على القتال منذ ريعان شبابه، وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ماتشبه حروب العرب تبدؤها، حتى ألف الله بين قلوبهم، وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم .

المحاضرة: الحادية عشر

عاشراً: حلف الفضول:

كان حلف الفضول بعد رجوع قريش من حرب الفجار، وسببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، ومنعه حقه فاستعدى عليه الزبيدي أشراف قريش، فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم، فوقف عند الكعبة واستغاث بآل فهر وأهل المروءة ونادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته... ... ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته... ... ... ياللرجال وبين الحِجر والحَجَر

إن الحرام لم تمت كرامته... ... ... ولاحرام لثوب الغادر الفجِر

فقام الزبير بن عبدالمطلب فقال: مالهذا مترك. فاجتمعت بنو هاشم، وزهرة، وبنو تَيْم بن مرة في دار عبدالله بن جُدْعان فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونُنّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرد إليه حقه مابلّ بحرٌ صوفة، ومابقي جَبَلاً ثبير وحراء مكانهما .

ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه.

وسمَّت قريش هذا الحلف حلف الفضول وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر.

وفي هذا الحلف قال الزبير بن عبدالمطلب:

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا... ... ... ألا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا... ... ... فالجار والمعتر فيهم سالم

وقد حضر هذا الحلف النبي(صلى الله عليه وسلم) الذي هدموا به صرح الظلم، ورفعوا به منار الحق، وهو يعتبر من مفاخر العرب وعرفانهم لحقوق الإنسان وقد قال(صلى الله عليه وسلم): شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه .

وقال(صلى الله عليه وسلم): (لقد شهدت في دار عبدالله بن جُدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النّعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت) .

دروس وعبر وفوائد:

١- إن العدل قيمة مطلقة وليست نسبية، وأن الرسول(صلى الله عليه وسلم) يظهر اعتزازه بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل قبل بعثته بعقدين، فالقيم الإيجابية تستحق الإشادة بها حتى لو صدرت من أهل الجاهلية .

٢- كان حلف الفضول واحة في ظلام الجاهلية وفيه دلالة بينة على أن شيوع الفساد في نظام أو مجتمع لايعني خلوه من أي فضيلة، فمكة مجتمع جاهلي هيمنت عليه عبادة الأوثان والمظالم والأخلاق الذميمة كالظلم والزنا والربا ومع هذا كان فيه رجال أصحاب نخوة ومروءة يكرهون الظلم ولايقرونه وفي هذا درس عظيم للدعاة في مجتمعاتهم التي لاتحكم الإسلام، أو يحارب الإسلام .

٣- إن الظلم مرفوض بأي صورة، ولايشترط الوقوف ضد الظالمين فقد عندما ينالون من الدعاة إلى الله، بل مواجهة الظالمين قائمة، ولو وقع الظلم على أقل الناس إن الإسلام يحارب الظلم ويقف بجانب المظلوم دون النظر إلى لونه ودينه ووطنه وجنسه .

٤- جواز التحالف والتعاهد على فعل الخير وهو من قبيل التعاون المأمور به في القرآن الكريم، قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. ويجوز للمسلمين أن يتعاقدوا في مثل هذا الحال، لأنه تأكيد لشيء مطلوب شرعاً، على ألا يكون ذلك شبيهاً بمسجد الضرار، بحيث يتحول التعاقد إلى نوع من الحزبية الموجهة ضد مسلمين آخرين ظلماً وبغياً، وأما تعاقد المسلمين مع غيرهم على دفع ظلم أو في مواجهة ظالم، فذلك جائز لهم، على أن تلحظ في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين في الحاضر والمستقبل .

٥- وعلى المسلم أن يكون في مجتمعه إيجابياً فاعلاً، لا أن يكون رقماً من الأرقام على هامش الأحداث في بيئته ومجتمعه، فقد كان النبي(صلى الله عليه وسلم) محط أنظار مجتمعه، وصار مضرب المثل فيهم، حتى ليلقبوه بالأمين وتهفوا إليه قلوب الرجال والنساء على السواء – بسبب الخلق الكريم الذي حبا الله تعالى به نبيه(صلى الله عليه وسلم)، ومازال يزكو وينمو حتى تعلقت قلوب قومه وهذا يعطينا صورة حية عن قيمة الأخلاق في المجتمع، وعن احترام صاحب الخلق ولو في المجتمع المنحرف .

المحاضرة: الثانية عشر

((تجارته لخديجة وزواجه منها وأهم الأحداث الى البعثة))

أولاً: تجارته لخديجة وزواجه منها:

كانت خديجة بنت خويلد(رضي الله عنها) أرملة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال ليتجروا بمالها، فلما بلغها عن محمد صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ماتعطي غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدما الشام، وباع محمد سلعته التي خرج بها، واشترى ماأراد من السلع، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها.

وقد حصل محمد(صلى الله عليه وسلم) في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الذي ناله، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها من بعد وجعلها مركزاً لدعوته، وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه كما كانت رحلته سبباً لزواجه من خديجة بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكريم أخلاقه ، ورأت خديجة في مالها البركة مالم تر قبل هذا وأخبرت بشمائله الكريمة ووجدت ضالتها المنشودة فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة فرضى بذلك وعرض ذلك على أعمامه، فوافقوا كذلك، وخرج معه عمه حمزة بن عبدالمطلب فخطبها إليه وتزوجها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وأصدقها عشرين بَكرة، وكانت أول إمرأة تزوجها رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها ، وقد ولدت لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) غلامين وأربع بنات. وابناه هما: القاسم، وبه كان(صلى الله عليه وسلم) يكنى وعبدالله، ويلقب الطاهر والطيب.

وقد مات القاسم بعد أن بلغ سناً تمكنه من ركوب الدابة، ومات عبدالله وهو طفل، وذلك قبل البعثة أما بناته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن . هذا وقد كان عمر الرسول(صلى الله عليه وسلم) حين تزوج خديجة رضي الله عنها ٢٥ سنة وكان عمرها ٤٠ سنة .

دروس وعبر وفوائد:

١- إن الأمانة والصدق أهم مواصفات التاجر الناجح، وصفة الأمانة والصدق في التجارة في شخصية النبي(صلى الله عليه وسلم) هي التي رغبت السيدة خديجة في أن تعطيه مالها ليتاجر به ويسافر به إلى الشام، فبارك الله لها في تجارتها وفتح الله لها من أبواب الخير ما يليق بكرم الكريم.

٢- إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله لرسوله(صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة وقد تدرب النبي(صلى الله عليه وسلم) على فنونها، وقد بين النبي(صلى الله عليه وسلم): أن التاجر الصدوق الأمين في هذا الدين يُحشر مع الصديقين والشهداء والنبيين، وهذه المهنة مهمة للمسلمين ولايقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم، وإذلالهم فهو ليس بحاجتهم بل هم في حاجة إليه وبحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته.

٣- كان زواج الحبيب المصطفى للسيدة خديجة بتقدير الله تعالى ولقد اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره، وتُخفف عنه مايصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش همومه .

٤- نرى أن النبي(صلى الله عليه وسلم) ذاق مرارة فقد الأبناء، كما ذاق من قبل مرارة فقد الأبوين وقد شاء الله -وله الحكمة البالغة- أن لا يعيش له(صلى الله عليه وسلم) أحد من الذكور حتى لايكون مدعاة لافتتان بعض الناس بهم، وادّعائهم لهم النبوة، فأعطاه الذكور تكميلاً لفطرته

البشرية وقضاء لحاجات النفس الإنسانية، ولئلا يتنقّص النبي في كمال رجولته شاني، أو يتقوّل عليه متقول، ثم أخذهم في الصغر، وأيضاً ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لايُرزقون البنين، أو يُرزقون ثم يموتون، كما أنه لون من ألوان الإبتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، وكأن الله أراد للنبي(صلى الله عليه وسلم) أن يجعل الرقة الحزينة جزءاً من كيانه.

٥- يتضح لنا من خلال قصة زواج النبي(صلى الله عليه وسلم) من السيدة خديجة، عدم اهتمام النبي(صلى الله عليه وسلم) بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك كبقية الشباب لطمع بمن هي أقل منه سناً أو بمن لا تفوقه في العمر، وإنما رغب النبي(صلى الله عليه وسلم) لشرفها ومكانتها في قومها فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

٦- وظل هذا الزواج قائماً حتى توفيت خديجة(رضي الله عنها) عن خمسة وستين عاماً، وقد ناهز النبي عليه الصلاة والسلام الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي إمرأة أخرى، ومابين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

أما زواجه بعد ذلك من السيدة عائشة وغيرهن من أمهات المؤمنين، فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة وسبب يزيدان في إيمان المسلم بعظمة محمد(صلى الله عليه وسلم) ورفعة شأنه وكمال أخلاقه.

المحاضرة: الثالثة عشر

ثانياً: اشتراكه في بناء الكعبة الشريفة:

لما بلغ محمد(صلى الله عليه وسلم) خمساً وثلاثين سنة وفاطمة، وعبدالله، والقاسم، وبه يكنى الرسول فيقال: أبو القاسم.

بناء الكعبة وقصة الحجر الأسود: اجتمعت قريش لإعادة بناء الكعبة، وأثناء البناء اختلفوا فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، واشتد الخلاف بينهم، وكاد أن يتحول إلى حرب بين قبائل قريش، ولكنهم تداركوا أمرهم، وارتضوا أن يُحكِّموا أول داخل عليهم وانتظر القوم، وكل واحد يسأل نفسه: ترى من سيأتي الآن؟ ولمن سيحكم؟ وفجأة تهللت وجوههم بالفرحة والسرور عندما رأوا محمدًا يقبل عليهم، فكل واحدٍ منهم يحبه ويثق في عدله وأمانته ورجاحة عقله وسداد رأيه، فهتفوا: هذا الأمين قد رضيناه حَكَما، وعرضوا عليه الأمر وطلبوا منه أن يحكم بينهم، فخلع الرسول(صلى الله عليه وسلم) رداءه ووضع الحجر عليه، ثم أمر رؤساء القبائل فرفعوا الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى مكانه من الكعبة، عندئذ حمله الرسول(صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة ووضعه مكانه، وهكذا كفاهم الله شر القتال.

دروس وعبر وفوائد:

١- تظهر أهمية الكعبة وقداستها عند قريش ويكفي أن باشر تأسيسها ورفع قواعدها إبراهيم وإبنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بأمر من الله تعالى لتكون أول بيت لعبادة الله وحده.

٢- بنيت الكعبة خلال الدهر كله أربع مرات على يقين، فأما المرة الأولى منها، فهي التي قام بأمر البناء منها إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعينه ابنه اسماعيل عليه الصلاة والسلام، والثانية: فهي تلك التي بنتها قريش قبل البعثة واشترك في بنائها النبي(صلى الله عليه وسلم)، والثالثة، عندما احترق البيت في زمن يزيد بن معاوية بفعل الحصار الذي ضربه الحصين السكوني على ابن الزبير حتى يستسلم، فأعاد ابن الزبير بنائها وأما المرة الرابعة في زمن عبدالملك بن مروان بعدما قتل ابن الزبير حيث أعاده على ماكان عليه زمن النبي(صلى الله عليه وسلم) لأن ابن الزبير باشر في رفع بناء البيت وزاد فيه الأذرع الستة التي أخرجت منه، وزاد في طوله إلى السماء عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه، وإنّما جرّأه على إدخال هذه الزيادة حديث عائشة عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم): "يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدّم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم" .

٣- طريقة فض التنازع كانت موفقة وعادلة، ورضى بها الجميع وحقنت دماء كثيرة، وأوقفت حروباً طاحنة، وكان من عدل حكمه أن رضت به جميع القبائل ولم تنفرد بشرف وضع الحجر قبيلة دون الأخرى، وهذا من توفيق الله لرسوله وتسديده قبل بعثته.

٤- إن حادثة تجديد بناء الكعبة قد كشفت عن مكانة النبي(صلى الله عليه وسلم) الأدبية في الوسط القرشي ، وحصل لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) في هذه الحادثة شرفان، شرف فصل الخصومة ووقف القتال المتوقع بين قبائل قريش، وشرف تنافس عليه القوم وادّخره الله لنبيه(صلى الله عليه وسلم) ألا وهو وضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين وأخذه من البساط بعد رفعه ووضعه في مكانه من البيت .

٥- إن المسلم يجد في حادثة تجديد بناء الكعبة كمال الحفظ الإلهي وكمال التوفيق الرباني في سيرة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، وكيف أن الله أكرم رسوله بهذه القدرة الهائلة على حل المشكلات بأقرب طريق وأسهله.

المحاضرة: الرابعة عشر

ثالثاً: تهيئة الناس لاستقبال نبوّة محمد(صلى الله عليه وسلم):

شاءت حكمة الله تعالى أن يعد الناس لاستقبال نبوة محمد(صلى الله عليه وسلم)بأمور منها:

١- بشارات الأنبياء بمحمد(صلى الله عليه وسلم):

دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في العرب رسولاً منهم، فأرسل محمداً إجابة لدعوته، قال تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ، وذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أنزل البشارة بمبعث محمد(صلى الله عليه وسلم)في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين فقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ} .

وبشر به عيسى عليه السلام وأخبرنا الله تعالى عن بشارة عيسى قال تعالى:{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} .

وأعلم الله تعالى جميع الأنبياء ببعثته، وأمرهم بتبليغ أتباعهم بوجوب الإيمان به واتباعه إن هم أدركوه، كما قال تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ} .

وقد وقع التحريف في نسخ التوراة والإنجيل وحذف منهما التصريح باسم محمد(صلى الله عليه وسلم) إلا توراة السامرة وإنجيل برنابا الذي كان موجوداً قبل الاسلام وحرّمت الكنيسة تداوله في آخر القرن الخامس الميلادي.

جاء في حديث كعب الأحبار قال: (إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله، لا فظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل منزلة، ويكبّرونه على كل نجد، يأتزرون الى أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، صفهم في الصلاة، وصفُّهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة، ومهجره بطابة، وملكه بالشام) .

٢- بشارات علماء أهل الكتاب بنبوته:

أخبر سلمان الفارسي(رضي الله عنه) في قصة إسلامه المشهورة عن راهب عمورية حين حضرته المنية قال لسلمان(رضي الله عنه): (إنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج

بأرض العرب، مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لاتخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فأفعل) .

ومن ذلك إخبار أحبار اليهود ورجالاتها بقرب مبعثه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قصة ابي التيهان الذي خرج من بلاد الشام ونزل في بني قريظة ثم توفي قبل البعثة النبوية بسنتين، فإنه لما حضرته الوفاة قال لبني قريظة: يامعشر يهود، ماترونه أخرجني من أرض الخَمْر والخَمير– الشام– الى أرض البؤس والجوع –يعني: الحجاز–؟ قالوا: أنت أعلم، قال: إني قدمت هذه البلدة أتوكَّفُ –انتظر– خروج نبي قد أظلَّ زمانه، وكنت أرجوا أن يبعث فأتبعه. وقد شاع حديث ذلك وانتشر بين اليهود وغيرهم حتى بلغ درجة القطع عندهم، وبناء عليه كان اليهود يقولون لأهل المدينة المنورة: إنه قد تقارب زمان نبي يُبْعث الآن، نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، وكان ذلك الحديث سبباً في إسلام رجال من الأنصار وقد قالوا: (إن مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نسمع من رجال اليهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا: إنه تقارب الزمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم) .

٣– الحالة العامة التي وصل إليها الناس:

كانت الأوضاع الفاسدة، التي وصل إليها الانسان في منتصف القرن السادس المسيحي اكبر من أن يقوم لإصلاحها مصلحون ومعلمون في افراد الناس، فلم تكن القضية قضية إصلاح عقيدة من العقائد، أو إزالة عادة من العادات، أو إصلاح مجتمع من المجتمعات ولكن القضية كانت قضية اقتلاع جرثومة الفساد واستئصال شأفة الوثنية، واجتثاثها من جذورها، بحيث لا يبقى لها عين ولا أثر، وترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس الإنسانية ترسيخاً لا يتصور فوقه، وغرس ميل الى إرضاء الله وعبادته، وخدمة الانسانية، والانتصار للحق، يتغلب على كل رغبة، ويقهر كل شهوة، ويجرف كل مقاومة.

المحاضرة: الخامسة عشر

٤– إرهاصات نبوته(صلى الله عليه وسلم):

ومن إرهاصات نبوته(صلى الله عليه وسلم) تسليم الحجر عليه قبل النبوة، فعن جابر بن سمرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن) .

ومنها الرؤيا الصادقة وهي أول مابدي له من الوحي فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وحبب إليه(صلى الله عليه وسلم) العزلة والتحنث (التعبد) فكان يخلو في غار حراء وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد، فتارة عشرة

وتارة أكثر من ذلك الى شهر، ثم يعود الى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى ويعود الكرة الى غار حراء وهكذا الى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك .

٥-نزول الوحي:

كان عُمر النبي(صلى الله عليه وسلم) قد بلغ الأربعين وكان يخلو في غار حراء بنفسه ويتفكر في هذا الكون وخالقه وكان تعبده في الغار يستغرق ليالي عديدة حتى إذا نفذ الزاد عاد الى بيته فتزود لليالي أخرى، وفي نهار يوم الأثنين من شهر رمضان جاءه جبريل بغته لأول مرة داخل غار الحراء ، وقد نقل البخاري في صحيحه حديث عائشة(رضي الله عنها) انها قالت : (أول مابدئ به رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه –وهو التعبد– الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، قال: قلت: ماأنا بقارئ. قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني قال: اقرأ، فقلت: ماأنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم ارسلني فقال:{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ }، فرجع بها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال : زملوني ! زملوني، زملوني حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله مايخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: ياابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن اخي ماترى؟ فأخبره رسول الله(صلى الله عليه وسلم)خبر مارأى: فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، ياليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي).

عندما نتأمل في حديث السيدة عائشة(رضي الله عنها) نستنتج قضايا مهمة تتعلق بسيرته(صلى الله عليه وسلم) ومن أهمها:

أولاً: الرؤيا الصالحة:

ففي حديث عائشة(رضي الله عنها) أن أول مابُدئ به محمد(صلى الله عليه وسلم)من الوحي الرؤيا الصالحة، وتسمى أحياناً بالرؤيا الصادقة، والمراد بها هنا رؤى جميلة ينشرح لها الصدر

وتزكو بها الروح ولعل الحكمة من ابتداء الله تعالى رسوله(صلى الله عليه وسلم)بالوحي بالمنام، أنه لو لم يبتدئه بالرؤيا وأتاه الملك فجأة ولم يسبق له أن رأى ملكاً من قبل فقد يصيبه شيء من الفزع، فلم يستطيع أن يتلقى منه شيئاً، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يأتيه الوحي أولاً في المنام ليتدرب عليه ويعتاده والرؤيا الصادقة الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما ورد في الحديث الشريف، وقد قال العلماء: وكانت مدة الرؤيا الصالحة ستة أشهر، ولم ينزل عليه شيء من القرآن في النوم بل نزل كله يقظة.

والرؤيا الصالحة من البشرى في الحياة الدنيا فقد ورد عن النبي(صلى الله عليه وسلم) قوله: (من البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له) .

فكان(صلى الله عليه وسلم) قبل نزول جبريل عليه السلام عليه بالوحي في غار حراء يرأى الرؤى الجميلة فيصحو منشرح الصدر، متفتح النفس لكل مافي الحياة من جمال ، لقد أجمعت الروايات من حديث بدء الوحي أن أول مابدء به رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصادقة الصالحة، يراها في النوم فتجيء في اليقظة كاملة، واضحة كما رآها في النوم، لا يغيب عليه منهاشيء كأنما نقشت في قلبه وعقله، وقد شبَّهت السيدة عائشة رضي الله عنها – وهي من أفصح العرب– ظهور رؤيا رسول الله(صلى الله عليه وسلم)إذا استيقظ بها من كمال وضوحها بظهور ضوء الصبح ينفلق عنه غبش الظلام، وهو تصوير بياني لا تنفلق دنيا العرب في ذرى فصاحتهم عن أبلغ منه .

ثانياً: ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه:

وقبيل النبوة حُبب الى نفس النبي(صلى الله عليه وسلم) الخلوة، ليتفرغ قلبه وعقله وروحه الى ما سيلقى إليه من أعلام النبوة، فاتخذ من غار حراء متعبداً، ليقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق، استجماعاً لقواه الفكرية، ومشاعره الروحية، وإحساساته النفسية، ومداركه العقلية، تفرغاً لمناجاة مبدع الكون وخالق الوجود ، والغار الذي كان يتردد عليه الحبيب المصطفى(صلى الله عليه وسلم) يبعث على التأمل والتفكر، تنظر الى منتهى الطرف فلا ترى إلا جبالاً كأنها ساجدة متطامنة لعظمة الله، وإلا سماء صافية الأديم، وقد يرى من يكون فيه مكة إذا كان حاد البصر .

كانت هذه الخلوة التي حُببت الى نفس النبي(صلى الله عليه وسلم) لوناً من الإعداد الخاص، وتصفية النفس من علائق المادية البشرية الى جانب تعهده الخاص بالتربية الإلهية والتأديب الرباني في جميع أحواله، وكان تعبده(صلى الله عليه وسلم) قبل النبوة بالتفكر في بديع ملكوت السموات، والنظر في آياته الكونية الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ومحكم تدبيره، وعظيم إبداعه .

وفي قول السيدة عائشة(رضي الله عنها): (فيتحنث الليالي ذوات العدد) قيل: هذا كناية عن كون هذه الليالي لم تصل الى نهاية القلة ولا إلى نهاية الكثرة، ومازال هذا الهدي الذي كان عليه

النبي(صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة من التوسط والاقتصاد في الأعمال، شعاراً للملة الاسلامية ورمزاً للهدي النبوي الكريم بعد بعثته.

ثالثاً: حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاء الملك فقال اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } .

لقد كانت هذه الآيات المباركات أول شيء نزل من القرآن الكريم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وإن من كرم الله تعالى أن علّم الإنسان مالم يعلم فشرفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم عليه السلام على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون بالكتابة بالبنان وبهذه الآيات كانت بداية نبوة محمد(صلى الله عليه وسلم) وفي هذا الحادث العظيم تظهر مكانة ومنزلة العلم في الإسلام، فأول كلمة في النبوة تصل إلى رسول الله هي الأمر بالقراءة{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (سورة العلق، آية:١).

وما زال الإسلام يحث على العلم ويأمر به ويرفع درجة أهله ويميزهم على غيرهم قال تعالى :{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} .

إن مصدر العلم النافع من الله عز وجل، فهو الذي علم بالقلم وعلم الإنسان مالم يعلم، ومتى حادت البشرية عن هذا المنهج، وانفصل علمها عن التقيد بمنهج الله رجع علمها وبالاً عليها وسبباً في إبادتها؟.

المحاضرة: السادسة عشر

رابعاً: الشدة التي تعرض لها النبي(صلى الله عليه وسلم) ووصف ظاهرة الوحي:

لقد قام جبريل عليه السلام بضغط النبي(صلى الله عليه وسلم) مراراً حتى أجهده وأتعبه، وبقي رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يلقى من الوحي شدة وتعب وثقل كما قال تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} ، كان في ذلك حكمة عظيمة لعل منها: بيان أهمية هذا الدين وعظمته وشدة الإهتمام به، وبيان للأمة أن دينها الذي تتنعم به ماجاءها إلا بعد شدة وكرب ،

إن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن والقوانين الطبيعية حيث تلقَّى(صلى الله عليه وسلم)كلام الله بواسطة المَلَك جبريل(عليه السلام) وبالتالي فلا صلة لظاهرة الوحي بالإلهام أو التأمل الباطني أو الإستشعار الداخلي، بل إن الوحي يتم من خارج ذات النبي(صلى الله عليه وسلم)، وتنحصر وظيفته بحفظ الموحي وتبليغه وأما بيانه وتفسيره فيتم بأسلوبه(صلى الله عليه وسلم). كما يظهر في أحاديثه وأقواله.

إن حقيقة الوحي هي الأساس الذي تترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته وأخلاقه ولذلك اهتم المستشرقون والملاحدة من قبلهم بالطعن والتشكيك في حقيقة الوحي وحاولوا أن يأولوا

ظاهرة الوحي ويحرفوها عن حقيقتها عما جاءنا في صحاح السنة الشريفة، وحدثنا به المؤرخون الثقات، فقائل يقول أن محمد(صلى الله عليه وسلم) تعلم القرآن ومبادئ الإسلام من بحيرا الراهب، وبعضهم قال بأن محمداً كان رجلاً عصبياً أو مصاباً بداء الصرع .

والحقيقة تقول أن محمد عليه الصلاة والسلام وهو في غار حراء فوجئ بجبريل أمامه يراه بعينه، وهو يقول له اقرأ، حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مرده إلى حديث النفس المجرد، وإنما هو استقبال وتلقٍّ لحقيقة خارجية لاعلاقة لها بالنفس وداخل الذات.وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات قائلاً في كل مرة: اقرأ، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفي ماقد يتصور، من أن الأمر لايعدو كونه خيالاً داخلياً فقط.

ولقد أصيب النبي(صلى الله عليه وسلم) بالرعب والخوف مما سمع ورأى وأسرع إلى بيته يرجف فؤاده، وهذا يدل على أن النبي(صلى الله عليه وسلم)لم يكن متشوقاً للرسالة التي سيكلف بثقلها وتبليغها للناس، وقد قال الله تعالى تأكيداً لهذا المعنى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ } .

لقد تساقطت آراء المشكيين في حقيقة الوحي أمام ما حدثتنا به السيدة عائشة(رضي الله عنها) وقد استمر الوحي بعد ذلك يحمل الدلالة نفسها على حقيقة الوحي وأنه ليس كما أراد المشككون .

خامساً: أنواع الوحي:

تحدث العلماء عن أنواع الوحي فذكروا منها:

١ – الرؤيا الصادقة:

وكانت مبدأ وحيه(صلى الله عليه وسلم)، وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد جاء في الحديث رؤيا الأنبياء وحيٌ، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام {يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}.

٢ – الإلهام:

وهو أن ينفث الملك في روعه –أي قلبه من غير أن يراه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن روح القدس نفث في روعي) أي : إن جبريل نفخ في قلبي (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) .

٣– **أن يأتيه مثل صلصلة الجرس**، أي مثل صوته في القوة، وهو أشدُّه، كما في حديث عائشة: (أن الحارث(رضي الله عنه) سأل رسول الله(صلى الله عليه وسلم): كيف يأتيك الوحي؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ماقال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي مايقول) .

٤- **ما أوحاه الله تعالى إليه، بلا وساطة ملك**، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن وثبوتها لنبينا(صلى الله عليه وسلم) في حديث الاسراء .

٥- **أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها**، فيوحي إليه ماشاء الله تعالى أن يوحيه.

٦- **أنه(صلى الله عليه وسلم) كان يتمثل له الملك رجلاً**، فيخاطبه حتى يعي عنه مايقول وله وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً).

لقد كان نزول الوحي على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بداية عهد جديد في حياة الانسانية بعدما انقطع وتاهت البشرية في دياجير الظلام.

وكان وقع نزول الوحي شديداً على رسول الله(صلى الله عليه وسلم)كما هو واضح من النص بالرغم من أنه كان أشجع الناس وأقواهم قلباً كما دلت على ذلك الأحداث خلال ثلاث وعشرين سنة، وذلك لأن الأمر ليس مخاطبة بشر لبشر ولكنه كان مخاطبة عظيم الملائكة وهو يحمل كلام الله تعالى ليستقبله من اصطفاه الله جل وعلا لحمل هذا الكلام وإبلاغه لعامة البشر.

ولقد كان موقفاً رهيباً ومسؤولية عظمى لايقوى عليها إلا من اختاره الله تبارك وتعالى لحمل هذ الرسالة وتبليغها .

ومما يتصور رهبة هذا الموقف ماجاء في هذه الرواية من قول رسول الله(صلى الله عليه وسلم): (لقد خشيت على نفسي) وقول عائشة(رضي الله عنها) في هذا الحديث: (فرجع بها رسول الله(صلى الله عليه وسلم)يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد(رضي الله عنها) قال: زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع).

ومما يبين شدة نزول الوحي على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) مما جاء في الصحيحين من حديث عائشة(رضي الله عنها) قالت: (ولقد رأيته -تعني رسول الله(صلى الله عليه وسلم)- ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً) ،وحديث عبادة بن الصامت(رضي الله عنه) قال: "كان نبي الله(صلى الله عليه وسلم)إذا نزل عليه الوحي كُرب لذلك وتربَّد وجهه" .

سادساً: أثر المرأة الصالحة في خدمة الدعوة:

فرجع بها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يرجف فؤاه، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: "زملوني زملوني! فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله مايخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

كان موقف خديجة(رضي الله عنها) يدل على قوة قلبها حيث لم تفزع من سماع هذا الخبر واستقبلت الأمر بهدوء وسكينة، ولا أدل على ذلك من ذهابها فور سماعها الخبر الى ورقة بن

نوفل وعرضت الأمر عليه ، فكان موقفها(رضي الله عنها) من خبر الوحي يدل على سعة إدراكها حيث قارنت بين ماسمعت وواقع النبي(صلى الله عليه وسلم) فأدركت أن من جبل على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبداً، فقد وصفته بأنه يصل الرحم، وكون الانسان يصل أقاربه دليل على استعداده النفسي لبذل الخير والاحسان الى الناس، فإن أقارب الانسان هم المرآة الأولى لكشف أخلاقه، فإن نجح في احتواء اقاربه، وكسبهم بماله عليهم من معروف كان طبيعياً بأن ينجح في كسب غيرهم من الناس) .

فقد سارعت الى إيمانها الفطري، والى معرفتها بسنن الله تعالى في خلقه، والى يقينها بما يملك محمد(صلى الله عليه وسلم) من رصيد الاخلاق، وفضائل الشمائل، ليس لأحد من البشر رصيد مثله في حياته الطبيعية التي يعيش بها مع الناس، فكانت موقنة بأن زوجها فيه من محاسن الأخلاق الرصينة، وفضائل الشيم المرضية، واشرف الشمائل العلية مايضمن له الفوز ويحقق له النجاح والفلاح .

ولم تكتفي خديجة(رضي الله عنها) بمكارم أخلاق النبي(صلى الله عليه وسلم)على نبوته بل ذهبت الى ابن عمها العالم الجليل ورقة بن نوفل رحمه الله الذي كان ينتظر ظهور نبي آخر الزمان لما عرفه من علماء أهل الكتاب على دنو زمانه واقتراب مبعثه وكان لحديث ورقة اثر طيب في تثبت النبي(صلى الله عليه وسلم)وتقوية قلبه وقد أخبر النبي(صلى الله عليه وسلم)بأن الذي خاطبه هو صاحب السر الأعظم الذي يكون سفيراً بين الله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة

لقد صدق ورقة بن نوفل برسالة النبي(صلى الله عليه وسلم) وشهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة فقد جاء عن عائشة(رضي الله عنها) أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين) .

وعن عائشة(رضي الله عنها) أن خديجة(رضي الله عنها) سألت رسول الله عن ورقة فقال: (قد رأيته فرأيت عليه ثياباً بيضاً، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض) . وروى عن جابر بن عبدا لله(رضي الله عنهما) أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) سئل عن ورقة بن نوفل فقال: (ابصرته في بطنان الجنة وعليه السندس) .

لقد قامت خديجة(رضي الله عنها) بدور مهم في حياة النبي(صلى الله عليه وسلم) لما لها من شخصية في مجتمع قومها، ولما جبلت عليه من الكفاءة في المجالات النفسية التي تقوم على الأخلاق العالية من الرحمة والحلم والحكمة والحزم وغير ذلك من مكارم الأخلاق، والرسول(صلى الله عليه وسلم) قد وفقه الله تعالى بهذه الزوجة المثالية، لأنه قدوة للعالمين وخاصة الدعاة الى الله، فقيام خديجة بذلك الدور الكبير إعلام من الله تعالى لجميع حملة الدعوة الاسلامية بما يشرع لهم أن يسلكوه في هذا المجال من التاسي برسول الله حتى يتحقق لهم بلوغ المقاصد العالية التي

يسعون لتحقيقها ، وصدق رسول الله(صلى الله عليه وسلم) إذ يقول: (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة) .

سابعاً: قوله: (وفتر الوحي):

تحدث علماء السيرة عن فترة الوحي، فقال الحافظ ابن حجر: وفتور الوحي عبارة عن تأخيره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ماكان(صلى الله عليه وسلم) وجده من الروع، وليحصل له التشوق الى العود ، فعن جابر بن عبدالله(رضي الله عنه) قال وهو يحدث عن فترة الوحي:(بينا أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني. فأنزل الله تعالى:{يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } فحمي الوحي وتتابع) .

أما مدة فترة الوحي فروى ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس(رضي الله عنهما) مايفيد أنها كانت أياماً، وهذا الذي يترجح بل يتعين بعد إدارة النظر في جميع الجوانب، وأما مااشتهر من أنها دامت طيلة ثلاث سنين أو سنتين ونصف فلا يصح بحال، وقد بقي رسول الله(صلى الله عليه وسلم) في أيام الفترة كئيباً محزوناً تعتريه الحيرة والدهشة وأما ماقاله بعض رواة السيرة من أنه كان تردّى شواهق الجبال وأن جبريل عليه السلام كان يظهر له في كل مرة ويبشره بأنه رسول الله مرسل ضعيف كما أنه يتنافى مع عصمة النبي(صلى الله عليه وسلم).

المحاضرة: االسابعة عشر

((مراحل الدعوة الإسلامية))

مرّت الدعّوة الإسلاميّة بمرحلتين رئيستين؛ هما المرحلة السريّة والمرحلة الجهريّة، وكانت حوادثهما وتفصيلاتهما على النحو الآتي:

<u>مرحلة الدعوة السرية</u>

المرحلة السرية يقصد بها تلك المدة التي كان يدعو فيها النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى الإسلام خفية، فقد بقي بعدما بعثه الله بالرسالة مدة ثلاث سنوات تقريباً، يتستر في دعوته ويتحاشى الإعلان عن رسالته أمام الرأي العام.

لقد استجاب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) لأمر ربّه بعد أن أمره بالدعوة عن طريق جبريل (عليه السّلام)، فبدأ بدعوة أهل مكة للإيمان بالله وحده والكفر بالأصنام وجميع المظاهر الشركيّة التي كانت مُنتشرةً في ذلك الوقت وقد ورثوا عبادتها عن آبائهم وأجدادهم ، لكنَّ دعوته في تلك الفترة كانت سرّاً؛ وذلك حذراً من ردّة فعل قريش إذا ما علموا بظهور الإسلام وانتشاره، فقد كانت قريش مُتعصِّبةً لعبادتها ووثنيّتها وأصنامها، فاقتصرت دعوة النبي(صلى الله عليه وسلم) في تلك المرحلة على من كانت تربطه علاقةٌ وثيقةٌ بالنبيّ(عليه الصّلاة والسّلام) حتى يضمن سريَّة ما

دعاه إليه حتى إن لم يُجبه إليه، لذلك يظهر أنَّ أوَّل من آمن بالنبيّ(صلى الله عليه وسلم) في هذه المرحلة هم أقرب الناس إليه، وكان أولهم على الإطلاق زوجه خديجة بنت خويلد(رضى الله عنها) وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وأبا بكر الصديق عبد الله بن أبي قُحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبي وقّاص، وغيرهم(رضى الله عنهم جميعاً).

كان هؤلاء الصّحابة(رضوان الله عليهم) جميعاً إذا ما أرادوا الالتقاء برسول الله(صلى الله عليه وسلم) يلتقون به سرّاً، وكانوا إذا ما أرادوا مُمارسة العبادات لجؤوا إلى شِعاب مكة حتى لا يراهم أحدٌ من كفار قريش، ولما زاد عدد المسلمين في هذه المرحلة عن الثلاثين ما بين رجال ونساء رأى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أن يجعل لهم مكاناً خاصّاً للعبادة بعيداً عن أعين قريش، فاختار لهم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان فيها يلتقي بهم فيُرشدهم ويُعلّمهم أمور دينهم–وكان مُعظمهم من الفقراء والعبيد والضعفاء الذين ليس لهم شأنٌ في قريش.

لقد كان هذا الأسلوب ضرورياً للأسباب الأتية :

أولاً:من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة، كي لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها،. فلو أن النبي(صلى الله عليه وسلم) أعلن عن دعوته فور البعثة لانتفضت قريش وقضت على هذه الدعوة وعناصرها بشكل سريع وحاسم من أول الطريق.

ثانياً: هدف من البعثة النبوية القيام بعملية تبليغ شاملة لكل الواقع الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي واستبداله بواقع جديد يستند إلى مبادئ الإسلام وعقائده ومفاهيمه ، لذا لا بد من إتاحة فرصة لتهئية وإعداد الكوادر والقوى التي تستطيع تحقيق هدف كبير مثل هذا.

ثالثا : إن مدة المرحلة السرية كانت بمثابة إعداد نفسي وتربية عقيدية وروحية وجهادية لتلك الصفوة والجماعة التي دخلت في الإسلام وآمنت بربها وبرسالة نبيها الأكرم وكان لا بد في هذه المرحلة أن يقوم النبي(صلى الله عليه وسلم) بمثل هذه التربية، التي تمكّن من الصمود في وجه التحديات المنتظرة.

مرحلة الدعوة الجهرية

لما فشى الإسلام في مكة وازداد عدد المسلمين وأصبحت قريش تتحدث به، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم(صلى الله عليه وسلم) أن يجهر بالدعوة وبما جاءه من الحق، وكان ذلك بعد ثلاث سنواتٍ من بعثة النبي(صلى الله عليه وسلم) حيث جاء في ذلك قول الله تعالى: [فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ]، كما قال تعالى: [وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ *وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ] جهر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بالدعوة تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى، فعمد إلى جبل الصفا حتى وقف عليه، ثم جعل ينادى:(يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ، لبطونِ قريشٍ، حتى اجتمعوا، فجَعَلَ الرجلُ إذا لم

يَسْتَطِعْ أن يَخْرُجَ أَرَسَلَ رسولًا؛ ليَنْظُرَ ما هو، فجاءَ أبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: أَرَأَيْتَكم لو أَخْبَرْتُكم أن خيلًا بالوادي تريدُ أن تُغِيرَ عليكم أَكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جَرَّبْنَا عليك إلا صدقًا، قال: فإني نذيرٌ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهبٍ: [تبًّا لك سائرَ اليومِ، أَلِهذا جَمَعْتَنَا؟ فنزَلَتْ: تبت يدا أبي لهب وتب*ما أغنى عنه ماله وما كسب] ثم بعد ذلك بدأ النبي(صلى الله عليه وسلم) بدعوة أهله وقرابته فجمعهم إليه ودعاهم للإسلام، فقال:(يا بني كعبِ بنِ لؤيّ، أنقِذُوا أنفُسَكُم منَ النارِ، يا بني مرةَ بنِ كعبٍ، أنقذُوا أنفُسَكُمْ منَ النارِ، يا بني عبدِ شمسٍ أنقذُوا أنفسَكُم من النارِ، يا بني عبدِ منافٍ أنقذُوا أنفُسكُم من النارِ، يا بني هاشمٍ أنقذُوا أنفسكُم منَ النارِ، يا بني عبدِالمطَّلبِ أنقذُوا أنفُسكمْ منَ النارِ، يا فاطمةُ أنقذِي نفسَكِ منَ النارِ، فإني لا أملكُ لكُم منَ اللهِ شيئًا غيرَ أنَّ لكُم رحِمًا سأصلها).

ونزل هذا الكلام على قلوب الكفار نزول الصاعقة، فقد أصبحت المواجهة واضحة بينهم وبين رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، إنه يطلب منهم أن يتركوا الأصنام التي يعبدونها، وأن يتركوا الفواحش، فلا يتعاملون بالربا، ولا يزنون، ولا يقتلون أولادهم، ولا يظلمون أحدًا، لكنهم قابلوا تلك الدعوة بالرفض، وبدءوا يسخرون من النبي(صلى الله عليه وسلم) ، ومن دعوته، فصبر(صلى الله عليه وسلم) عليهم وعلى تطاولهم.

العبر والفوائد من الدعوة الجهرية :

١. الموقف السلبي لعشيرة النبي(صلى الله عليه وسلم) في هذه الفترة فيه الرد القاطع على من يحاول تصوير هذا الدين بأنه ثمرة من ثمار القومية ، ويدعون بأن النبي(صلى الله عليه وسلم) كان يمثل بدعوته آمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين .

٢. تباطؤ الناس في الدخول في الإسلام دليل على مدى قوة وتغلل التقاليد في المجتمعات ، وهو الأمر يواجهه الدعاة في كثير من المجتمعات حتى في الشعوب الإسلامية التي تكون بعيدة عن المنهج الحقيقي للإسلام فتنتشر فيها البدع والخرافات ويصعب على الدعاة انتشالهم منها .

٣. أن في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة إشارة إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عموماً والدعاة خصوصاً .

المحاضرة:الثامنة عشر

الأساليب التي اتبعتها قريش في محاربة واضطهاد النبي(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه.

اتخذت قريش أساليباً عدة لمحاربة النبي(صلى الله عليه وسلم) واصحابه، ومن هذه الأساليب:

الأسلوب الاول: محاولة منع عمه أبي طالب من نصرته .

وذلك حتى يكفُّه عن الدعوة، أو يجرده من حمايته، فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمه أبي طالب ، وقالوا له :إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل

آباءنا ، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال لهم أبوطالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه .

الأسلوب الثاني: التهديد بمقاتلة الرسول(صلى الله عليه وسلم) وعمه أبي طالب .

مضى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يظهر دين الله ، ويدعو إليه، فغضبت منه قريش ، وحض بعضهم بعضاً ، ومشوا إلى عمه مرة أخرى، فقالوا له:" يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا وإنا. والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك. حتى يهلك احد الفريقين " ، وهنا لمّا سمع أبو طالب مقالة القوم بعث إلى رسول لله(صلى الله عليه وسلم) وأبلغه بالذي قالوه ، وطلب منه أن لا يحمله من الأمر مالا يطيق ، وبعد أن ظن الرسول(صلى الله عليه وسلم) أن عمه قد ضعف عن نصرته قال له:(ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته) ثم بكى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وقام من عند عمه فلما ولى ناداه عمه فقال: ' أقبل يا ابن أخي' فلما أقبل قال له : اذهب يا ابن أخي، وظل أبو طالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول(صلى الله عليه وسلم)، ويحميه ويمتنع عن الدخول في الإسلام . فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

الأسلوب الثالث: الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه.

حيت اتهموا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) باتهامات باطلة منها :

١-الجنون :

وفي ذلك نزل قوله تعالى: [وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ] سورة الحجر:٦ .

٢-السحر :

قال الله تعالى : [وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] سورة ص: ٤. وقد تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن ، فعندما أوشك دخول موسم الحج جمع فريقه من عتاة المجرمين فقال لهم : ' يامعشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولاتختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ' ، واتفقوا على أن يصفوه بالسحر لأنه يفرق بين الأقارب ، ولكن شاء الله أن تصدر العرب من مكة على أمر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

٣-الكذب :

قال الله تعالى : [وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] سورة ص:,٤

٤-الإتيان بالأساطير:

قال الله تعالى :[وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] سورة الفرقان :٥.

٥-قالوا إن القرآن ليس من عند الله ، وإنما هو من عند البشر:

قال تعالى: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ] سورة النحل: ,١٠٣

٦- اتهموا المؤمنين بالضلالة :

قال تعالى:[وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ] سورة المطففين: ٣٢.

الأسلوب الرابع: السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي على المؤمنين.

قالت امرأة مشركة لرسول الله(صلى الله عليه وسلم)ساخرة مستهزئة: 'إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً '؛ فأنزل الله تعالى: [وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى]سورة الضحى: ١-٣

الأسلوب الخامس: التشويش .

كان المشركون يتواصون بينهم بافتعال ضجة عالية وصياح منكر عندما يقرأ(صلى الله عليه وسلم) القرآن ؛ حتى لا يُسمع فيفهم فيترك أثراً في عقل نقي وقلب طيب حسب زعمهم ، وفي ذلك قال المولى تبارك وتعالى[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ] سورة فصلت :٢٦.

الأسلوب السادس: طلبهم أن تكون للرسول(صلى الله عليه وسلم) معجزات أو مزايا ليست عند البشر العاديين .

ومن ذلك قولهم : [وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ .....] سورة الإسراء ٩٠-٩٣، ولذا قال لهم الرسول(صلى الله عليه وسلم) كما جاء في الآية نفسها [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا].

الأسلوب السابع: المساومات .

ومن ذلك قولهم : أعبد آلهتنا يوماً ونعبد إلهك يوماً، فأنزل الله تعالى سورة الكافرون.

الأسلوب الثامن: سب القرآن ومنزله ومن جاء به.

كان رسول الله(صلى الله عليه وسلم) مختف بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه محمد(صلى الله عليه وسلم): [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ " أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن" وَلَا تُخَافِتْ بِهَا " عن أصحابك فلا تسمعهم "، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا] سورة الإسراء : ١١٠

الأسلوب التاسع: الاتصال باليهود للإتيان منهم بأسئلة تعجيزية للرسول .

أوفدت قريش نفراً منهم إلى المدينة، وعلى رأسهم: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية ، فيطرحونها على الرسول(صلى الله عليه وسلم) ، فقالت لهم يهود: سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين والروح ، ولكن الله أبطل كيدهم عندما أنزل الله قرآناً في شأن الإجابة عن أسئلتهم.

الأسلوب العاشر: الترغيب .

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب، فأرسلت عتبة بن ربيعة، فقال للرسول(صلى الله عليه وسلم) : 'يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم، فاسمع مني ، أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا ؛ حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ' ، فلما فرغ من قوله تلا رسول(صلى الله عليه وسلم) صدر سورة 'فصلت ' إلى قوله تعالى: [فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ] ، وعندها وضع عتبة يده على جنبه ، وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش مخبراً إياهم بأن ما سمع ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة ، وقال : والله إن لِقَوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحْطِم ما تحته ، واقترح على قريش أن تدع محمداً وشأنه .

الأسلوب الحادي عشر: الترهيب .

كان أبو جهل إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومنعة قال له : لنسفهن حلمك ، ولنضعفن رأيك ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً قال له: لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .

الأسلوب الثاني عشر: الاعتداء الجسدي .

لم تثمر كل الأساليب السابقة في صد الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه عن دينهم ، فلجأت قريش إلى أسلوب الاعتداء الجسدي والتصفية الجسدية وخاصة بعدما أصبح رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يظهر شعائر دينه مثل الصلاة عند الكعبة، وقد حصلت من ذلك صور عديدة منها :

١- عن أبي هريرة(رضي الله عنه) ، قال : قال أبوجهل: هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقيل:نعم ، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي ليطأ على رقبته ، قال: ورجع ينكص

على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): [لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً].

٢- عن أنس(رضي الله عنه) ، قال : لقد ضربوا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) مرة حتى غشي عليه ، فقام أبو بكر، فجعل ينادي: ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر يضربونه.

٣- كان أمية بن خلف سيد بلال يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو تحت ذلك البلاء: أحد أحد ، وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذاباً ، فيقبل عليه، فيخنقه فيغشى عليه ثم يفيق ، وجعلوا في عنق بلال حبلاً ، وأمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين جبلي مكة، ففعلوا ذلك وهو يقول : أحد أحد.

الأسلوب الثالث عشر: ملاحقة المسلمين خارج مكة والتحريض عليهم.

عندما هاجر بعض المسلمين إلى النجاشي أرسل قريشاً خلفهم من حاول اللحاق بهم قبل العبور إلى الحبشة، وعندما استقروا بالحبشة وكثر عددهم، أرسلوا في طلبهم، واستخدموا في ذلك الرشوة والحيلة للوقيعة بين المسلمين والنجاشي، ولكنهم فشلوا في ذلك.

الأسلوب الرابع عشر: المقاطعة العامة .

قررت قريش قتل رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع ابني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) معهم في شعبهم، ومنعوه ممن أراد قتله، فوافق على ذلك حتى كفارهم ، فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية. ولما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم؛ حتى يسلِّموا إليهم رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، ففعلوا ذلك، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب، فكان مع قريش ، فأقاموا على ذلك ثلاث سنين، حتى جهدوا، ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خُفْيَة، حتى كانت قريش تؤذي من اطلعت على أنه أرسل إلى بعض أقاربه من المحصورين شيئاً من الأعطيات، وبلغ الجوع بالمسلمين مبلغ حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر، إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر من أشدهم في ذلك ضيقاً، وهم: هشام ابن عمرو بن الحارث وزهير ابن أبي أمية والمطعم بن عدي وزمعة بن الأسود وأبو البختري بن هشام بن الحارث ، وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلات الأرحام ، وعلى الرغم من هذه المقاطعة وما جرى للمسلمين وراءها من معاناة إلا أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) لم يتوقف عن الدعوة، فقد كان يخرج في المواسم، ويلتقي القادمين على مكة، ويعرض عليهم الإسلام ، ولما أفسد الله الصحيفة، خرج رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وصحابته وخالطوا الناس .

المحاضرة:التاسعة عشر

*** إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :**

هو حمزة بن عبد المطلب الهاشمي القرشي عم رسول الله وأخوه من الرضاعة لقب بسيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله ويكنى أبا عمارة ، وفيما ذكر عن سبب اسلامه ما روي أن ابا لهب مر برسول الله(صلى الله عليه وسلم) يوما عند الصفا فآذاه ونال منه، ورسول الله(صلى الله عليه وسلم) لم يرد عليه، ثم ضربه ابو جهل بحجر في راسه فنزف منه الدم، وتركه وانصرف الى قريش بمجالسهم عند الكعبة ، وكانت هناك مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها قد رأت ما فعله ابو لهب للنبي(صلى الله عليه وسلم) ، فلم يلبث أن اقبل حمزة بن عبد المطلب متوشحا قوسه راجعا من صيد له ، وكان حمزة اذا رجع من صيد لم يدخل على اهله حتى يطوف بالكعبة ، فلقيته هذه الجارية وقالت له :(يا ابا عمارة لو رأيت ما لقي ابن اخيك–تقصد النبي(صلى الله عليه وسلم)– من أبي الحكم بن هشام ، وجده جالسا هنا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم أنصرف ولم يكلمه محمد(صلى الله عليه وسلم) ، فغضب حمزة غضبا شديدا وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة، فخرج يسعى لم يقف لاحد متجها لابي جهل فدخل عليه مجلسه حيث يجتمع قريش وأقبل نحوه وقال:(أتشتم محمد وأنا على دينه أقول ما يقول ؟) ثم ضربه على راسه ضربة منكره شجت راسه، فقام رجال من بني مخزوم لينصرو ابا جهل ،فقال لهم ابو جهل :(دعوا ابا عمارة فإني قد سببت ابن اخيه سبا قبيحا)

تم اسلام حمزة بن عبد المطلب(رضي الله عنه) وشرح الله صدره للإسلام وأعز الله به الدين، ومعروف مَن حمزة؟ إنه الأسد الضرغام الذي قتل العُتاة يوم بدر، ومزَّق صفوف الشيطان في تلك المعركة الفاصلة، لقد أسلم عزيزاً، وعاش كريماً، ومات شهيداً.

*** إسلام عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) :**

دعا الرسول(صلى الله عليه وسلم) الله أن يعز الإسلام بأحد العمرين: عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام، وكان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم شديد الإيذاء للمسلمين، وذات يوم حمل عمر سيفه، وانطلق يبحث عن محمد ليقتله، وفي الطريق قابله رجل، وأخبره أن أخته فاطمة قد أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد، فاتجه عمر غاضبًا نحو دار أخته، ودق الباب، وكان الصحابي خباب بن الأَرَتِّ(رضي الله عنه) يعلِّم أخت عمر وزوجها القرآن الكريم، فلما سمعوا صوت عمر امتلأت قلوبهم بالرعب والخوف، وأسرع خباب فاختبأ في زاوية من البيت، ودخل عمر فقال: لقد أُخبرت أنكما تبعتما محمدًا على دينه، ثم ضرب زوج أخته، وضرب أخته على وجهها حتى سال الدم من وجهها، ولكنها لم تخف، وقالت له في ثبات وشجاعة: نعم أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما شئت.

ندم عمر على ما صنع بأخته، وطلب منها الصحيفة التي كانوا يقرءون منها، فقالت له: يا أخي إنك نجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، فقرأ عمر: بسم الله الرحمن الرحيم { طه . أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ، تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [طه:١-٨].

وكانت هذه الآيات نورًا جذب عمر إلى الإسلام وأضاء له طريق الحق، فما إن قرأها حتى لان قلبه، وهدأ طبعه، وذهب عنه الغضب، وقال -والإيمان يفيض في جوانحه-: ما أحسن هذا الكلام وما أكرمه، ثم ذهب إلى النبي(صلى الله عليه وسلم) وأعلن إسلامه، وبعد قليل من إسلام عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) سار رسول الله(صلى الله عليه وسلم) إلى الكعبة في وضح النهار بين عمر بن الخطاب وحمزة بن عبدالمطلب(رضي الله عنهما) وامتنع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهما، وكان المسلمون لا يقدرون أن يُصَلُّوا عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم هو وحمزة بن عبدالمطلب صلى المسلمون عند الكعبة.

قال عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه) :(إن اسلام عمر كان فتحا وهجرته كانت نصرا وامارته كانت رحمه ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلا عند الكعبة وصلينا معه).

العبر من إسلام حمزة وعمر (رضي الله عنهما) :

١. أن من كان قوياً في مجتمعه الجاهلي يمكن أن يكون سنداً قوياً للدعوة الإسلامية إذا أسلم ، ولذا كان النبي(صلى الله عليه وسلم) حريصاً على إسلام رجال أمثال أبي جهل وعمر بن الخطاب(ضي اله عنه) فليحرص الدعاة على عدم إهمال دعوة الشخصيات القوية المؤثرة في مجتمعاتها ، لأن إسلام هذه الشخصيات سوف يزيل الكثير من التردد الذي يقع فيه من يأتمرون بأمرهم .

٢. أن في نهوض النبي(صلى الله عليه وسلم) للقاء عمر عندما جاء إلى المسلمين في دار الأرقم وأخذه بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة ثم تهديده مثالاً عالياً للشجاعة في موطن الشدة .

المحاضرة: العشرون

((الهجرة إلى الحبشة))

عندما رأى النبي(صلى الله عليه وسلم) ما يصيب الصحابة والمسلمين من أذى الكفار وزعماء قريش، قال لأصحابه أن يخرجوا إلى الحبشة، وأن فيها ملكاً لا يظلم أحداً، وكان عدد المهاجرين منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، فخرجوا من مكة المكرمة حتى وصلوا ساحل بحر القلزم،

فوجدوا سفينتين وركبوا، فعلمت قريش بهذا الحدث وأسرعوا باتجاه الساحل لكنهم كانوا قد أبحروا، والذين هاجروا خلال البعثة الأولى هم: عثمان بن عفان وزوجته رقيّة، وأبو حذيفة بن عتبة وزوجته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، ومصعب بن عمير، وأبو سلمة بن عبد الأسد وأم سلمة بنت أبي أميّة، وعامر بن ربيعة العنزي وزوجته ليلى بنت أبي حثمة، وعثمان بن مظغون، وعبد الله بن مسعود، وسهيل بن بيضاء، وحاطب بن عمرو، أبو سيرة بن أبي رهم.

أسباب هجرة المسلمين:

١. تعذيب قريش لكلّ من يدخل في الدين الإسلاميّ.
٢. البحث عن موضع أمل لمن يواجهون الصعاب، والمشاقّ، والضغوطات ممن أصروا على العناد والانقياد.
٣. تجنّب انخفاض عدد الأشخاص المقبلين على الدخول إلى الإسلام، نظراً للمشاقّ التي يواجهها المسلمون.
٤. تسديد ضربة لكبرياء قريش وجبروتها، وإن كانت ضربة نفسيّة.

أسباب اختيار الحبشة:

١. بعدها عن قريش، كونهم سيبذلون محاولتهم لاسترجاع المسلمين، للمحافظة على بقائهم وسيطرتهم.
٢. العلاقة التجارية والاقتصادية القوية لقريش مع بلاد الشام والروم، بالإضافة إلى نفوذها القوي فيها، مما دفع الملسمين لاختيار المكان الأبعد لتجنب إلحاق الأذى بهم، ومنع ممارسة أي نوع من الظلم فيهم، بينما فيما يتعلق بالبلاد العربية، فكانت تحت الحكم الفارسي الظالم.
٣. النفوذ القوي لقريش في مختلق القبائل العربية، حتى التي كانت تحت نفوذ الروم والفرس.
٤. ذكر النبي(صلى الله عليه وسلم) أن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وأنّ فيها شعباً يعيش على الفطرة ويتعامل بصفاء وصدق.

موقف قريش من هجرة المسلمين :

١. أدركت أنّ المواصلة في تعذيب المسلمين الذين أصبحوا متفرقين في مختلف المناطق لم يعد لها جدوى.
٢. رأت قريش أنّ محمداً(صلى الله عليه وسلم) يريد أن تكون دعوته إنسانية عالمية، وألا تكون خاصةً بعرب الحجاز، والمكة، فعرفوا أنّ القضاء على مسلمين مكة لا يعني القضاء على الإسلام.
٣. شكلت هجرة المسلمين خطراً كبيراً على قريش؛ لأنّها تتعارض مع مصالحهم، مما يدفع للصبر وإحكام التدبير.

٤. الثورة على النجاشي ملك الحبشة، حيث اتهمه أهل بلده بخروجه عن دينه، إلا أنّه استطاع إخماد الثورة بوعيه، وبقي المسلمين عنده في خير منزل، وخير جار حتى عادوا إلى المدينة.

عودة بعض المهاجرين إلى مكة:

تسرّبت بعض أنباء الهدنة العفوية والقصيرة غير المعلنة التي حصلت في مكة إلى مسامع المسلمين في الحبشة، فرأى الملسمون ما حدث مع النجاشي بسببهم، فقرّر بعضهم العودة إلى مكّة بعد شهرين أو ثلاثة أشهر فعاد منهم أكثر من ثلاثين رجلاً،

وعندما اقتربوا من مكة بلغهم أنّ ما تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان كذباً وباطلاً، فمنهم من دخل مكة مستخفياً، أو في جوار رجل من بني قريش، ومنهم من رجع إلى الحبشة مرّة أخرى، وخرج معهم آخرون.

الهجرة الثانية الى الحبشة

بعد عودة بعض المهاجرين إلى مكة المكرمة، أذن لهم النبي(صلى الله عليه وسلم) بالهجرة إلى الحبشة مرّة ثانية، فخرجوا وكان عددهم في المرة الثانية تسع عشرة امرأة وثلاثة وثمانين رجلاً، وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب، والمترجم عنهم عند النجاشي، ومنهم أيضاً: عبد الله بن مسعود، وشرحبيل بن حسنة، وأبو عبيدة بن الجراح، لم يخرج المسلمون دفعةً واحدة، لكن على شكل جماعات، فخرجت جماعة مع جعفر بن أبي طالب، وخرجت جماعة مع أبي موسى الأشعريّ، وعندما وصلت جماعة أبي موسى الأشعريّ إلى بلاد اليمن علموا بخروج المسلمين للهجرة للمدينة، فعزموا بالرجوع وركبوا السفينة، لكن الرياح هاجت عليهم حتى أوصلتهم بلاد الحبشة.

بعث قريش إلى النجاشي

اجتمعت قريش في دار الندوة، واتفقوا علي أن يجمعوا الأموال والهدايا ويهدوها إلى النجاشي، وانتدبوا لذلك رجلين، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدايا، وقيل عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فركبا البحر، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، وسلما عليه، واتفق وفد قريش مع البطارقة أن يشيروا على النجاشي بأن يسلم المسلمين إليهم، ولكن النجاشي رأي بأن يدعو المسلمين ليستمع بنفسه إلى ما يقولون.

استدعاء النجاشي للمسلمين

أرسل النجاشي إلى الصحابة فدعاهم، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: «ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟»، قالوا: «نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا(صلى الله عليه وسلم) كائناً في ذلك ما هو كائن»، فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال لهم: «ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟»، أو قال: «ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في

يهودية ولا نصرانية»، فخاطبه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشركْ به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: «هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟»، فقال له جعفر بن أبي طالب: «نعم»، فقال له النجاشي: «فاقرأه علي»، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم: ﴿ كهيعص ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ...، إلى الآيات: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ،فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾

قالت أم سلمة : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون».

فلما خرج رسولا قريش من عنده، قال عمرو بن العاص: «والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم»، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: «لا نفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا»، قال: «والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد». ثم غدا عليه من الغد فقال له: «أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه»، فأرسل إليهم ليسألهم عنه، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: «ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟»، قالوا: «نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن»، فلما دخلوا عليه قال لهم: «ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟»، فقال جعفر ابن أبي طالب:نقول

فيه الذي جاءنا به نبينا(صلى الله عليه وسلم) هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: «والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود» (أي أن قولك لم يعد عيسى بن مريم بمقدار هذا العود)، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: «وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي (أي آمنون)، من سبكم غرم»، ثم قال: «من سبكم غرم»، ثم قال: «من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً (أي جبلاً) من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه»، قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار .

وفي رواية أخرى أن قريشاً بعثت عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وليس عبد الله بن أبي ربيعة كما في الرواية السابقة، بعثتهما بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له: ....

واجتمع أهل الحبشة يوماً فقالوا للنجاشي: «إنك قد فارقت ديننا»، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفناً، وقال: «اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا»، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: «هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم»، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفوا له، فقال: «يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم؟»، قالوا: «بلى»، قال: «فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟»، قالوا: «خير سيرة»، قال: «فما بالكم؟»، قالوا: «فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد»، قال: «فما تقولون أنتم في عيسى؟»، قالوا: «نقول هو ابن الله»، فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه: «هو يشهد أن عيسى بن مريم»، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا عنه.

<u>عودة ما بقي من الصحابة</u>

كتب النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشي أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكان زوجها عبيد الله بن جحش قد مات في الحبشة.

وكتب إليه أيضًا أن يبعث إليه من بقي من أصحابه، فزوجه النجاشي أم حبيبة وأصدقها عنه أربعمائة دينار وحمل بقية أصحابه في سفينتين فوصلوا المدينة بعد غزوة خيبر عام ٧ هـ.

بعد ان أخفقت حيل المشركين مع النجاشى وفشل قريش في إعادة من هاجر من المسلمين الى الحبشة ، عادوا الى ايذاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) والمسلمين بأشد مما كانوا عليه حتى فكرو في قتل النبي، ومما تعرض له النبي(صلى الله عليه وسلم) من المشركين بهذه المرحلة

مافعله عتيبة بن ابي لهب عليهم لعنة الله ، فقد اتى عتيبة الى النبي(صلى الله عليه وسلم) وقال : (أنا اكفر ب (والنجم اذا هوى) وبالذي (دنا فتدلى) وآذى النبي وشق قميصه وتفل في وجهه الا انها لم تقع عليه صلى الله عليه وسلم) ،فدعا عليه صلى الله عليه وسلم وقال : (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) ، وقد استجاب الله لدعائه فقد خرج عتيبة ذات مرة مع نفر من قريش متجهين الى الشام ونزلو بمكان يسمى الزرقاء فطاف بهم اسد تلك الليلة ، فقال عتيبة :(يا ويل اخي هو آكلي كما دعا محمد علي قتلني وهو بمكة وانا بالشام) فهجم عليهم الاسد وانقض على عتيبة من بين القوم فاخذ راسه فذبحه ، كذلك مافعله أبو لهب فقد روي انه وعد المشركين بأن يضرب النبي بحجر على راسه وهو ساجد فيقتله ، فلما سجد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) واقترب منه ابو جهل ليفعل ما قال الا انه رجع منهزما مرعوبا حتى قذف الحجر من يده ، فساله المشركين عن عدم تنفيذ وعده فقال لما اقتربت منه عرض لي دونه فحل من الابل مارايت مثل هامته ولا انيابه اراد ان ياكلني ، ولعل ما كان يلقاه النبي(صلى الله عليه وسلم) واصحابه من قريش كان سبب في تقوية اسلام كل من حمزة وعمر(رضي الله عنهما) .

المحاضرة: الحادية والعشرون

المقاطعة

ازداد عدد المسلمين، وانضم إليهم عدد من أصحاب القوة والسيطرة، فأصبح من الصعب على المشركين تعذيبهم، ففكروا في تعذيب من نوع آخر، يشمل كل المسلمين قويهم وضعيفهم، بل يشمل كل من يحمي النبي(صلى الله عليه وسلم) والمسلمين حتى ولو لم يدخل في الإسلام، فقرر المشركون أن يقاطعوا بني هاشم ومن معهم، فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم، ولا يكلمونهم، ولا يدخلون بيوتهم، وأن يستمروا هكذا حتى يُسلِّموا إليهم محمدًا ليقتلوه أو يتركوا دينهم، وأقسم المشركون على هذا العهد، وكتبوه في صحيفة وعلقوها داخل الكعبة.

وأحكم المشركون الحصار، فاضطر الرسول(صلى الله عليه وسلم) ومن معه إلى الاحتباس في شعب بني هاشم، وكان رجال قريش ينتظرون التجار القادمين إلى مكة ليشتروا منهم الطعام ويمنعوا المسلمين من شرائه، فيظلوا على جوعهم، فهذا أبو لهب يقول لتجار قريش عندما يرى مسلمًا يشترى طعامًا لأولاده: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمد؛ حتى لا يدركوا معكم شيئًا، فيزيدون عليهم في السلعة، حتى يرجع المسلم إلى أطفاله، وهم يتألمون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به.ويذهب التجار إلى أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى تعب المؤمنون ومن معهم من الجوع والعرى، واستمر هذا الحصار على بني هاشم والمسلمين مدة ثلاث سنوات، ولكن المسلمين أثبتوا أنهم أقوى من كل حيل لمشركين، فإيمانهم

راسخ في قلوبهم لا يزحزحه جوع ولا عطش، حتى وإن اضطروا إلى أكل أوراق الشجر، فلم ييأسوا، ولم ينفضُّوا من حول نبيهم(صلى الله عليه وسلم).

وشعر بعض المشركين بسوء ما يفعلونه، فقرروا إنهاء هذه المقاطعة الظالمة وأرسل الله تعالى الأرضة (دودة أو حشرة صغيرة تشبه النملة) فأكلت صحيفتهم، ولم تُبْقِ إلا اسم الله تعالى، وأوحى الله إلى نبيه بذلك، فأخبر النبي(صلى الله عليه وسلم) عمه أبا طالب بما حدث للصحيفة، فذهب أبو طالب إلى الكفار وأخبرهم بما أخبره محمد(صلى الله عليه وسلم) به، فأسرعوا إلى الصحيفة، فوجدوا ما قاله أبو طالب صدقًا، وتقدم من المشركين هشام بن عمرو، وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، فتبرءوا من هذه المعاهدة، وبذلك انتهت المقاطعة بعد ثلاث سنوات من الصبر، والثبات والتحمل.

عام الحزن

في العام العاشر من البعثة كانت الأحزان على موعد مع الرسول(صلى الله عليه وسلم)، فقد مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه من أهل مكة، ثم ماتت زوجته الوفية الصادقة السيدة خديجة(رضي الله عنها) التي كانت تخفف عنه، وتؤيده في دعوته إلى الله –عز وجل– وهي التي آمنت به وساعدته بمالها، ورزقه الله منها الأولاد، فكان رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يحبها ويقدرها، وبشرها الرسول(صلى الله عليه وسلم) بالجنة –قبل موتها– فقد أتى جبريل(عليه السلام) النبي(صلى الله عليه وسلم) فقال: (يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام، أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب –المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر الكبير– لا صخب فيه ولا نصب) .

فحزن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حزنًا شديدًا على وفاة زوجته وعمه، وازداد قلقه على الدعوة، فقد فقد نصيرين كبيرين، وصدق ما توقعه الرسول(صلى الله عليه وسلم)، فقد اشتد تعذيب المشركين له.

المحاضرة: الثانية والعشرون

هجرة النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف

لم ييأس الرسول(صلى الله عليه وسلم) بعد أن أعرض أهل مكة عن قبول الدعوة ولكنه بحث عن مكان آخر لنشر الدين، فأرض الله واسعة، وقد أرسله الله تعالى ليخرج الناس جميعًا من الظلمات إلى النور.

فسافر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ومعه خادمه زيد بن حارثة إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو ان يقبلوا دعوتة الى الله، وكان ذلك بعد مضي عشر سنوات من بعثته، وظل في الطائف عشرة أيام يدعو كبار القوم إلى الإسلام، ولكن الطائف لم تكن أحسن حالا من مكة، فقد رفض أهلها قبول دعوته، ولم يكتفوا بذلك، بل إنهم سَلَّطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم فوقفوا

صفين على طول طريق الرسول(صلى الله عليه وسلم) يسبونه، ويقذفونه بالحجارة هو وزيد بن حارثة الذي كان يدافع عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بنفسه ويصد الحجارة، حتى جرح في رأسه، وسال الدم من قدم الرسول(صلى الله عليه وسلم).ووصل الى بستان لعتبة بن ربيعة وكان قد انهكه التعب و الجراح فجلس فى ظل شجرة و لما اطمان فى الظل رفع النبي يدية الى السماء وجعل يدعو(اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا و الآخرة من أن ينزل بي بغضبك أو يحل علىّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك).

–وكان ابنا ربيعة ينظران اليه فبعثا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس بقطف من العنب فلما وضعة بين يدية مد رسول الله يده قائلا بسم الله ثم أكل فقال عداس متعجباً : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له الرسول : من أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال الرسول(صلى الله عليه وسلم): من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى ؟ فقال عداس وما يدريك ما يونس ابن متى ؟ فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) : ذلك أخى كان نبياً وأنا نبى ..... فأكب عداس على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقبل رأسه ويديه وقدميه.

ولما وصل النبي(صلى الله عليه وسلم) الى نخلة قام يصلى بجوف الليل فمر به نفر من الجن فاستمعوا القرآن و قد ذكرهم الله فى قوله تعالى(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) الى قولة تعالى:(وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ).

لما رجع النبي(صلى الله عليه وسلم) الى مكة قال له زيد كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك ؟ فقال : يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه .

ثم أرسل رجلاً من خزاعة الى مطعم ابن عدىّ يخبره أنه داخل مكة فى جواره ' فاستجاب مطعم لذلك . وعاد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) الى مكة.

<u>قصة الإسراء والمعراج:</u>

وهكذا أعرض أهل مكة عن الإسلام، وخذل أهل الطائف النبي(صلى الله عليه وسلم)، وازداد إيذاء الكافرين له ولصحابته، وخاصة بعد وفاة السيدة خديجة(رضي الله عنها) وعمه أبي طالب، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يخفف عن نبيه ، فأكرمه برحلة الإسراء والمعراج فبينما كان رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) نائماً في الحجر أتاه جبريل عليه السّلام، فهمزه بقدمه، فجلس رسولنا الكريم فلم يرَ شيئا، ثمّ عاد إلى مضجعه، فأتاهُ مرّةً ثانية فهمزه بقدمه، فجلس ولم يرَ

شيئا، ثمّ عاد مرّة أخرى إلى مضجعه، فأتاهُ مرّةً ثالثة فهمزه بقدمه، فجلس رسولنا الكريم، وأخذ جبريل بعضده، وحينها قام رسول الله(صلى الله عليه وسلم) معه، وخرج به جبريل إلى باب المسجد، فإذا رسول الله يرى دابّةً بيضاء بين البغل والحمار، في فخذيها جناحان تحفّز بهما رجليه، ثمّ وضع جبريل يده في منتهى طرف الرّسول فحمله عليه، وخرج معه.

فأي تكريم ومؤانسة أشد وأعظم من هذا التكريم ، ورد في سورة الإسراء(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، ومضى رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) بصحبة جبريل عليه السّلام حتّى انتهى به المطاف إلى بيت المقدس، فوجد فيه الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء، فأمّهم رسول الله في صلاته، ثمّ أُتى جبريل رسول الله بوعائين، في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن. قال: خذ.

فأخذ رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) إناء اللبن وشرب منه، وترك إناء الخمر. فقال لهُ جبريل: هديتَ للفطرة، وهديت أمّتك يا محمّد، وحرّمت عليكم الخمر.

وأما المعراج: فهو الرحلة السماوية والارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدرة المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام، يقول تعالى في سورة النجم: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وقد حدثت هاتان الرحلتان في ليلة واحدة، وكان زمنها قبل الهجرة بسنة.

ثمّ عاد رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) إلى مكّة في صباح اليوم التّالي اجتمع الرّسول الكريم في قبيلة قريش وأخبرهم بما حصل معه، فقال أكثر النّاس: والله هذا الأمر لبيّن، وإنّ الرّسول لصادق آمين، وإنّ العير لتطرد شهراً من مكّة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، وقال بعضهم: إنّ هذا القول لا يصدّق أفيذهب محمّدٌ ويرجع إلى مكّة في ليلة واحدة؟! فارتدّ كثيرٌ ممّن كان قد أسلم، وذهب النّاس إلى أبي بكر، فقالوا له: يا أبا بكر إنّ صاحبك محمّد يزعم أنّه قد جاء من بيت المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكّة، فقال لهم أبو بكر: إنّكم تكذبون على رسول الله، فقالوا: بلى، ها هو الرّسول في المسجد يحدّث الناس بما حدث معه، فقال أبو بكر: والله لئن كان قال هذا الكلام لقد صدق، فما العجب من ذلك! فوالله إنّه ليخبرني أنّ الخبر يأتيه من الله من السّماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدّقه، فهذا أبعد ممّا تعجبون منه.

أقبل أبو بكر إلى رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم)، فقال: يا رسول الله، أحدّثت القوم أنّك كنت في بيت المقدس هذه الليلة؟ قال الرّسول: نعم، قال: يا رسول الله، صف لي ذلك المسجد، وأخذ الرّسول يصف ويحدّث أبا بكر عن بيت المقدس، فقال له أبو بكر: أشهد أنّك رسول الله، وكان يكرّرها كلّما وصف له شيئاً رآه .

الدروس من الإسراء والمعراج:

١. إن حديث الإسراء والمعراج متفق عليه بين أهل الحديث والسيرة وثبت بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ، فهو قطعي الثبوت ، وهو بإجماع جماهير المسلمين من معجزاته(صلى الله عليه وسلم) وفي إنكاره إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة .

٢. جاءت هذه المعجزة بعد المحن التي ابتلي بها(صلى الله عليه وسلم) لتجدد عزيمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولتدلل على أن ما يلاقيه من قومه ليس سببه تخلي الله تعالى عنه، وإنما هي سنة الله مع أحبابه في كل عصر ومصر .

٣. أن الاقتران الزماني والمكاني بين إسرائه(صلى الله عليه وسلم) إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماء دلالة واضحة على ما لهذا البيت من مكانه وقدسية عند الله تعالى، ودلالة واضحة على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى ومحمد عليهما السلام وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد .

٤. إن في اختيار النبي(صلى الله عليه وسلم) اللبن على الخمر حينما قدمهما جبريل دلالة واضحة على ان الإسلام دين الفطرة .

المحاضرة: الثالثة والعشرون

الرسول في موسم الحج

جاء موسم الحج في السنة العاشرة من البعثة، فاجتمعت القبائل من كل مكان وبدأ الرسول(صلى الله عليه وسلم) يدعوهم قائلا:(يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكًا في الجنة) ووجد الرسول(صلى الله عليه وسلم) ستة رجال من (يثرب) يتحدثون، فاقترب منهم، وقال لهم: (من أنتم؟)،

قالوا: نفر من الخزرج. قال: أَمِنْ موالى يهود (أي من حلفائهم)؟

قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟. قالوا: بلى.

فجلس معهم وحدثهم عن الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فانشرحت له صدورهم، وظهرت علامات القبول على وجوههم، وكانت بينهم وبين اليهود عداوة، فكان اليهود يهددونهم بظهور نبي، وسوف يؤيدونه ويقاتلونهم معه، فلما سمعوا كلام الرسول(صلى الله عليه وسلم) نظر بعضهم لبعض وقالوا: تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقُنَّكُم إليه .. فأجابوا الرسول(صلى الله عليه وسلم) فيما دعاهم إليه، ووعدوه بأن يقابلوه في العام المقبل، ثم انصرفوا إلى قومهم وحدثوهم عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فانتشرت أخباره في يثرب.

بيعة العقبة الأولى:

وفي شهر ذي الحجة سنة إحدى عشرة من البعثة، قدم إلى مكة اثنا عشر رجلا من أهل يثرب من بينهم خمسة من الستة الذين كلموا الرسول(صلى الله عليه وسلم) في العام الماضي، واجتمع معهم رسول الله(صلى الله عليه وسلم) في مكان اسمه العقبة؛ فآمنوا به(صلى الله عليه وسلم)، وبايعوه على ألا يشركوا بالله شيئًا، ولا يسرقوا، ولا يرتكبوا الفواحش والمنكرات، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يعصوه(صلى الله عليه وسلم) في معروف يأمرهم به.

وكانت هذه هي بيعة العقبة الأولى، وعندما عادوا إلى يثرب أرسل رسول الله(صلى الله عليه وسلم) معهم مصعب بن عمير(رضي الله عنه) ليعلمهم أمور الدين ويقرأ عليهم القرآن، فأسلم على يديه كثير من أهل يثرب.

بيعة العقبة الثانية:

وفي شهر ذي الحجة من العام الثاني عشر من البعثة، ذهب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل يثرب إلى الحج، ليبايعوا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) على الإسلام، وفي ليلة الحادي عشر من ذي الحجة تسلل الرجال والمرأتان وذهبوا إلى العقبة، وجاء إليهم الرسول(صلى الله عليه وسلم) ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، ولم يكن قد آمن وقتئذ، ولكنه جاء ليطمئن على اتفاق ابن أخيه مع أهل يثرب، وليبين لهم أنه قادر على حمايته في مكة إن لم يكونوا قادرين على حمايته في المدينة.

وتمت بيعة العقبة الثانية، وفيها عاهد الأنصار النبي(صلى الله عليه وسلم) على السمع والطاعة، وقال لهم :(تبايعوني على السمع والطاعة، في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة) .

وأصبح لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) أتباع أقوياء مستعدون لنصرته، والقتال من أجل الإسلام، حتى إن أحدهم وهو العباس بن عبادة(رضي الله عنه) قام وقال لرسول الله(صلى الله عليه وسلم): والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا، ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يفعل إلا ما يأمره الله به، فقال له : (لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم) واختار رسول الله(صلى الله عليه وسلم) منهم اثني عشر رجلا؛ ليكونوا أمراء عليهم حتى يهاجر إليهم، وفي الصباح، تسلل الخبر إلى كفار قريش، فاكتشفوا أمر ذلك الاجتماع الخطير، وخرجت قريش تطلب المسلمين من أهل يثرب فأدركوا (سعد بن عبادة) وأسروه وأخذوا يعذبونه ويَجُرُّونه حتى أدخلوه مكة، وكان سعد يجير ويحمي تجارة اثنين من كبار مكة إذا مرا ببلده،

وهما جبير بن مطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية، فنادى باسميهما فجاءا وخلصاه من أيدي المشركين، وعاد سعد بن عبادة (رضي الله عنه) إلى يثرب.

المحاضرة: االرابعة والعشرون

الهجرة إلى المدينة المنورة:

مضى النبي(صلى الله عليه وسلم) ثلاثة عشر سنة بعد بعثته الشريفة في مكة يدعو إلى الله سبحانه وتعالى ويواجه تحديات المشركين، ولم يترك مكاناً أو مناسبةً يتجمّع بها النَّاس إلا وسعى إليهم عارضاً عليهم دعوته، وخاصّة في موسم الحجّ وأيام أسواق العرب؛ فيعرض الإسلام على القبائل الوافدة من كافّة أنحاء شبه الجزيرة العربيّة؛ فمنهم من كفر وصدّ ومنهم من آمن. كان من بين الذين آمنوا أهل يثرب المتمثلون في قبيلتي الأوس والخزرج، وكان أوّل من آمن ستة أشخاص كلُّهم من الخزرج، وحملوا الدِّين الجديد إلى أهلهم في يثرب.

وفي يثرب تهافت النَّاس على اعتناق الإسلام، خاصّة وأنَّهم كانوا على عِلمٍ بقرب ظهور نبيٍّ للبشرية من جيرانهم اليهود، وتلا ذلك بيعتا العقبة الأولى والثَّانية التي وفد بها الأوس والخزرج على النَّبي(صلى الله عليه وسلم) في مكّة.

وبعد بيعة العقبة الثَّانية أذن النبي(صلى الله عليه وسلم) للمسلمين بالهجرة إلى المدينة خاصّةً بعد أنْ تعهد الأوس والخزرج بالنُّصرة؛ فكانت المدينة هي المكان الآمن في شبه الجزيرة العربيّة، حيث بدأ المسلمون بالخروج نحوها سراً وخُفيةً عن أعين قُريشٍ، وأوّل من هاجر أبو سلمة المخزوميّ(رضي الله عنه)، حتى هاجر عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)؛ فهاجر علانيةً ولم يجرأ أحدٌ من قريشٍ على اعتراض طريقه.

بتوالي الأعوام هاجر جميع المسلمين إلى المدينة ما عدا الرَّسول(صلى الله عليه وسلم)، وأبو بكرٍ، وعلي بن أبي طالب، وصهيب الرُّوميّ، وزيد بن حارثة، وعددٌ من المستصعفين(رضي الله عنهم أجمعين).

أسباب هجرة النّبي إلى المدينة:

١. تآمر كفار قريش على قتل النبي(صلى الله عليه وسلم) في مرقده خاصة بعد هجرة جميع المسلمين إلى المدينة، وبقاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) مع نفر من الصحابة في مكة.
٢. كان النّبي(صلى الله عليه وسلم) ينتظر الأمر الإلهيّ له بالهجرة، وحان هذا الأمر عندما اجتمع زعماء قريشٍ في دار النَّدوة للتَّشاور بشأن ما يفعلونه بصاحب الدَّعوة، وخاصةً أنّه وأصحابه وجدوا عند أهل المدينة النُّصرة والتَّمكين؛ فطرحوا العديد من الحلول كالطَّرد من مكّة، أو الحبس والسَّجن، إلى أنْ جاء أبو جهلٍ بفكرته وهي قتل النّبي(صلى الله عليه وسلم).

٣. دعوة النَّبي(صلى الله عليه وسلم)أهل قريشٍ للإسلام استمرت عدّة سنواتٍ دون استجابةٍ تُذكر؛ فأصروا على الكفر والعناد، وفي المقابل رحّب أهل المدينة من الأوس والخزرج بالإسلام وعاهدوا النبي(صلى الله عليه وسلم)على النُّصرة والمنعة له ولأصحابه.

٤. الهجرة فُرضت على الأنبياء والمُرسلين لضمان نشر الدَّعوة إلى الله، وحمايتها من بطش الظَّالمين، حيث كانت ضرورةً لتغيير حال وواقع المسلمين من مجموعةٍ صغيرةٍ إلى دولةٍ عظمى.

٥. درء الأذى والعذاب عن النّبي(صلى الله عليه وسلم). تآمر قريش على قتل النبي(صلى الله عليه وسلم) اقترح أبو جهل قتل النَّبي(صلى الله عليه وسلم) بواسطة عددٍ من شباب القبائل؛ بحيث يتم اختيار شابٍّ من كُلِّ قبيلة يشاركون جميعهم في جريمة القتل، وعندما يتم الإعلان عن مقتله يصعب على أهله- بنو عبد مناف- تحديد القاتل؛ فيرضون بالدِّية. لكن تدبير الله سبحانه كان لهم بالمرصاد؛ فنزل جبريلٌ عليه السَّلام على النَّبي(صلى الله عليه وسلم) يُخبره بتآمر قريشٍ على قتله، وأنّ المولى أَذِن له بالهجرة إلى المدينة، وحددّ له زمن الخروج، وكيفيّة الرَّد على مخطط قريشٍ، ثم أعد النبي(صلى الله عليه وسلم) وصاحبه أبو بكر العدة للهجرة، وترك علي بن أبي طالب نائماً في فراشه.

أهم نتائج الهجرة النبويَّة إلى المدينة:

١- أوَّل وأهمُّ نتيجةٍ من نَتائِج الهجرة النبويَّة إلى المدينة هي: إقامة الدولة الإسلاميَّة والمجتمع الإسلامي، الدولة التي تُظِلُّ تحتَ لوائها كُلَّ مَن آمَن بالله تعالى ويكون فيها فَرْدًا صالحًا يَعبُدُ ربَّه دون خَوْفٍ من عَدُوٍّ يتربَّص به، أو كافر يَكمُن له.

٢- ومن النتائج المهمَّة نَجاةُ النبيِّ(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه(رضي الله عنهم) من أذى كُفَّار قريش الذي زادَ وطَغَى حتى وصَل إلى مُحاوَلة اغتِيالِه وقَتلِه(صلَّى الله عليه وسلَّم).

٣- القَضاء التامُّ على الإحَن والأضْغان الذي كان في الصُّدور من قِبَلِ القَبائِل لبعضها، وتَوحِيدها تحت رايةٍ واحِدةٍ هي راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

أعمال الرسول في المدينة المنورة

انتظر الصحابة الأنصارُ قدومَ رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وصاحبِه أبي بكرٍ الصدّيق (رضي الله عنه) على أحرَّ من الجمر، وعندما أقبل أخذوا يرددون: "جاء نبي الله(صلى الله عليه وسلّم)"، وكان ذلك اليوم يوم عيدٍ وابتهاجٍ عندهم، حيث لبسوا أحسن الملابس لديهم، وقد قام النبي(صلى الله عليه وسلّم) ، بعدة أعمالٍ عند قدومه المدينة المنورة، منها:

١-بناء المسجد النبويّ، وكان هذا أولَ عملٍ قام به النبي فور وصوله المدينة، وذلك للمحافظة على أداء شعائر الإسلام، وترسيخها في قلوب المسلمين، وقد اشتركَ النبيُّ والصحابة في بنائه،

حيث تمّ بناء حُجر حولَ المسجد؛ ليكونَ مسكناً له ولأزواجه، ثم تمّ الاتفاق على الأذان لتنبيه الناس بموعد بدْء وقت الصلاة.

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فقد قدِم المهاجرون من مكة المكرمة تاركين وراءهم كلَّ أموالهم وممتلكاتهم وبيوتهم، فمؤاخاتهم من الأنصار جعلهم يتشاركون بيوتَهم، وأعمالهم، وطعامهم، وأرزاقهم، مما ساهم في ربط الأمة بعضها ببعضٍ.

٣- تنظيم العلاقات بين سكان المدينة المنورة، حيث كتب(صلى الله عليه وسلم) وثيقةً توضِّح التزاماتِ جميع الأطراف داخل المدينة، وتحدّد الحقوق والواجبات.

٤-حلّ المشكلة الاقتصاديّة التي وقعت فيها المدينة خاصةً من قدوم المهاجرين، فآخى بين المهاجرين والأنصار، وزاد عدد الذين يجلسون في المسجد للتعلّم من الفقراء، وقام ببناء سوق خاصّ بالمسلمين، ليعتاشوا منه بعيداً عن تحكّم اليهود واحتكارهم.

٥- تدريب الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى وحثّهم عليه للدفاع عن كلمة الله تعالى، كما شرّع الزكاة والصيام لتأسيس الدعائم الثابتة للشريعة الإسلامية.

الصحيفة أو «وثيقة المدينة»:

كان يسكن مع المسلمين في المدينة اليهود وبعض المشركين الذين يحقدون على الإسلام، ويكرهون قيام دولته، لذلك وضع الرسول(صلى الله عليه وسلم) معاهدة تنظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم حتى يأمن مكر الكفار، وهذه بعض المبادئ التي احتوتها المعاهدة:

١-المهاجرون والأنصار أمة من دون الناس يتعاونون فيما بينهم، وهم يد واحدة على من عاداهم.

٢-دماؤهم محفوظة، فلا يقتل مؤمن مؤمنًا، ولا ينصر مؤمن كافرًا على أخيه المؤمن.

٣-لليهود حريتهم الدينية فلا يُجبرون على الإسلام.

٤-اليهود الذين يسكنون المدينة يشاركون في الدفاع عنها، ولا يعينون أعداء الإسلام، ولا ينصرونهم.

٥-كل ظالم أو آثم أو متهاون خائن لا ينفذ ما في هذا العهد عليه اللعنة والغضب، ويقوم الآخرون بحربه.

٦-إذا حدث خلاف في أي أمر، فإن الحكم هو كتاب الله وسنة نبيه(صلى الله عليه وسلم).

وهكذا وضَّح الرسول(صلى الله عليه وسلم) حقوق كل طائفة في المدينة وواجباتها، ورسم المنهج الذي يتعاملون به بكل أمانة وعدل، فلم يظلم اليهود بل حفظ لهم حقوقهم، ورغم ذلك أظهر اليهود وجههم القبيح، وكراهيتهم للرسول(صلى الله عليه وسلم) رغم علمهم أنه صادق، واتضح ذلك في موقفهم من عبدالله بن سلام عندما أسلم.

فقد كان عبد الله بن سلام من علماء اليهود، ومن ساداتهم، فلما أسلم كتم إسلامه، ولم يخبر اليهود، وطلب من النبي(صلى الله عليه وسلم) أن يسألهم عنه أولاً، فبعث رسول الله(صلى الله عليه وسلم) إليهم فقال:(أي رجل فيكم ابن سلام؟) قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، فقال: (أفرأيتم إن أسلم؟) فقالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم، فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): (يابن سلام، اخرج عليهم) فخرج فقال لهم: (يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق) فقالوا: كذبت.

وهكذا كانت عداوة اليهود للنبي(صلى الله عليه وسلم) وللمسلمين واضحة منذ أول يوم في المدينة رغم أنهم يعرفون أنه رسول الله حقًّا وصدقًا، وقد اشتدوا في تكذيب رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، وإظهار حقدهم عليه عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وظهرت سفاهة عقولهم واضحة حين تشاوروا فيما بينهم، واتفقوا أن يؤمنوا بدين الله أول النهار، ويكفروا في آخره حتى يسعى الناس إلى تقليدهم، والسير على خطاهم، ولكن الله فضحهم بكفرهم في كتابه الحكيم، وأظهر حقدهم على المسلمين بعد تآلف قلوب أهل المدينة من الأوس والخزرج، وسعيهم إلى الوقيعة فيما بينهم.

المحاضرة: الخامسة والعشرون

مكائد اليهود لرسول الله(صلى الله عليه وسلم):

المكيدة الأولى:التظاهر بالدخول في الإسلام نفاقا، ليعملوا على تخريبه من الداخل، وليطّلعوا على أسرار المسلمين، فينقلوها إلى جماعاتهم ، وليحموا أنفسهم من القتل ونقمة المسلمين ، وذلك بالتعوذ بإعلان الإسلام.

فمن هؤلاء من يهود بنى قينقاع : سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ونعمان بن أوفى، وعثمان ابن أوفى، ورافع بن حريملة، وقد كان لهؤلاء أحداث ودسائس ومكايد لم يظفرهم الله بما أرادوا منها.فمن أمثلة دسائسهم ما كان من أمر زيد بن اللصيت، إذ أظهر الله نفاقه بما بدا منه في لحن القول من دس حقير على رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، ليلقي الشك في قلوب المسلمين ، وذلك أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) ضلت ناقته ، فاستغل هذا اليهودي المنافق ذلك ، فقال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لايدري أين ناقته؟! فبلغت كلمته الخبيثة هذه رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ، فقال معلنا في القوم:(إن قائلا قال : يزعم محمدا أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها) فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وكما وصف.

المكيدة الثانية: الدخول في الإسلام ثم الإرتداد عنه للفتنة ، ليفتنوا بعض المسلمين عن دينهم فيرتدوا مثلهم ، وليُظهروا أمام العرب أن بعض الذين يدخلون في الإسلام يرتدون عنه سخطة

عليه ، وبذلك يجعلون بعض الذين تميل قلوبهم إلى الإسلام من مشركي العرب يُحجِمون أو يتريثون.

فقد سجل التاريخ أنه اجتمع عبدالله بن ضيف ، وعديين زيد ، وهما من يهود بني قينقاع ، والحارث بن عوف، وهو من يهود بني قريظة ،فقال بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أُنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية ، حتى نَلْبِس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه ، ففضح الله مكيدتهم هذه ، وأنزل فيهم قوله تعالى(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ،) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) آل عمران ٧١-٧٣

المكيدة الثالثة: إحراج الرسول(صلى الله عليه وسلم) بسيل من الأسئلة التي يتعنتونه فيها ، والتي يلبسون فيها الحق بالباطل ، ولعلهم يوهمون بها العرب أنهم أعلم من الرسول(صلى الله عليه وسلم) ، وأنه غير صادق في رسالته فمن ذلك أن رافع بن حُريملة – وهو حبر من أحبار يهود بني قينقاع – ووهب بن زيد – وهو حبر من أحبار يهود بني قريظة – جاءا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالا : يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك ، ولما قال هذان الحبران اليهوديان مقالتهما في طلبيهما أنزل الله قوله تعالى(أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) البقرة ١٠٨.

الغزوات والسرايا

لقد ترك المسلمون مكة كلها للكفار، وهاجروا إلى المدينة، ولكن الصراع بينهما لم ينته، بل زاد عما كان عليه في مكة، واتخذ شكلا جديدًا، بعد أن نزل الإذن من الله بقتال المشركين، قال تعالى: [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ] (الحج:٣٩).

وقد أصبح المسلمون في المدينة قوة كبيرة بانضمام الأنصار إليهم، فلماذا لا يستردون حقوقهم المسلوبة؟ وخاصة أن المدينة تقع على الطريق بين مكة والشام حيث تمر قوافل أهل مكة التجارية، لذلك قرر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) إرسال سرايا من جيش المسلمين يزعجون قريشًا ويستطلعون أخبارها، ثم تم تشريع مبادرة العدو للتمكين العقيدة من الانتشار دون عقبات، ولصرف الفتنة عن الناس ليتمكنوا من اختيار الدين الحق بإرادتهم الحرة [وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ] (البقرة:١٩٣).

سبق غزوات النبي(صلى الله عليه وسلم) عدد من السرايا.

الغَزْوُ: السيرُ إلى قِتالِ العَدُو، وغزو العدو إنما يكون في بلاده.

السَريَّة : القطعة من الجيش من خمس أنفس إلى ثلاثمائة وأربعمائة، توجه مقدم الجيش إلى العدو، والجمع سرايا.

اهداف السرايا

١. إرباك قريش وحلفائها وإضعاف معنوياتهم وضرب نشاطهم التجاري .

٢. الحصول على مورد لتموين وتسليح جيش المسلمين .

تعددت غزوات الرسول(صلى الله عليه وسلم) حتى بلغت ما يقارب ٢٨ غزوة وتعدد معها أسبابها. ومن أهم السرايا:

سرية سيف البحر:

في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة خرج حمزة بن عبد المطلب ومعه ثلاثون من المهاجرين لاعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام يقودها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، ولكن رجلا اسمه مجدي بن عمرو صَالَحَ بين الفريقين، ولم يحدث قتال، وعرف الكفار منذ ذلك الوقت أن المسلمين مستعدون لمواجهتهم.

سرية رابغ:

وفي شهر شوال من السنة نفسها خرج عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ومعه ستون رجلا من المهاجرين، واعترضوا قافلة بقيادة أبي سفيان، وكان بينهما رمي بالنبال، ولكن لم يقع قتال.

سرية الخرار:

كانت في شهر ذي القعدة من السنة الأولى، وفيها خرج سعد بن أبي وقاص ومعه عشرون مسلمًا، ولكنهم لم يعثروا على القافلة التي خرجوا من أجلها، وهكذا تحول المسلمون من الضعف إلى القوة، وأصبحوا مصدرًا لرعب الكفار.

وفي العام الثاني من الهجرة واصل الرسول(صلى الله عليه وسلم) إرسال السرايا لمعرفة أخبار أهل مكة، وليدرب المسلمين على مواجهة قريش، وكان(صلى الله عليه وسلم) يشارك في بعض هذه الأعمال العسكرية، ومن الغزوات التي شارك فيها :

غزوة الأبواء (ودان):

وفيها خرج رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بنفسه مع سبعين من المهاجرين في شهر صفر لاعتراض قافلة لقريش، لكنه لم يلتقِ بها فعقد معاهدة مع بني ضمرة أَمَّنَهُم على أنفسهم، ووعدوه ألا يحاربوه ولا يعينوا عليه أعداءه، وأن يقفوا إلى جانبه إذا دعاهم لذلك، وهكذا كان(صلى الله عليه وسلم) لا يترك صغيرة أو كبيرة يؤمِّن بها دولته، ويقوِّي علاقتها بجيرانها إلا فعلها.

غزوة بواط:

وفيها خرج النبي(صلى الله عليه وسلم) في شهر ربيع الأول من السنة الثانية، ومعه مائتان من الصحابة؛ لاعتراض قافلة لقريش يقودها أمية بن خلف لكنه لم يلحق بها.

غزوة بدر الأولى:

وسببها أن رجلا اسمه كرز بن جابر الفهري اعتدى هو وبعض المشركين على مراعي المدينة ومواشيها، فطارده الرسول(صلى الله عليه وسلم) وبعض المسلمين ولكنه فرَّ هاربًا، وقد وقعت هذه الغزوة قريبًا من بئر بدر ولذلك سميت بدر الأولى.

غزوة العُشَيرة:

وقد حاول فيها الرسول(صلى الله عليه وسلم) ومن معه اعتراض قافلة لقريش ذاهبة من مكة إلى الشام، ولكنه لم يدركها، فعقد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) معاهدة مع بني مدلج حلفاء بني ضمرة.

-بلغ عدد الضحايا في كل معارك النبي(صلى الله عليه وسلم) ما يقارب الألف قتيل من الطرفين، منهم ٦٠٠ من مقاتلي يهود بني قريظة قتلوا قضاء لا قتالا، نتيجة لغدر اليهود بالمسلمين مرتين وقت معركة الخندق.

استمرت الغزوات ٨ سنوات من ٢ هـ إلى ٩ هـ.

في السنة الثانية للهجرة حدث أكبر عدد من الغزوات حيث بلغت ٨ غزوات.

بلغ عدد البعوث والسرايا ٣٨ ما بين بعثة وسرية.

المحاضرة: السادسة والعشرون

<u>غزوة بدر الكبرى</u>

وتُسمى أيضاً بدر القتال ويوم الفرقان هي غزوة وقعت في السابع عشر من رمضان في العام الثاني من الهجرة بين المسلمين بقيادة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، وقبيلة قريش ومن حالفها من العرب بقيادة عمرو بن هشام المخزومي، وتُعد غزوةُ بدر أولَ معركةٍ من معارك الإسلام الفاصلة، وقد سُميت بهذا الاسم نسبةً إلى منطقة بدر التي وقعت المعركة فيها، وبدر بئرٌ مشهورةٌ تقع بين مكة والمدينة المنورة.

بدأت المعركة بمحاولة المسلمين اعتراضَ عيرٍ لقريشٍ متوجهةٍ من الشام إلى مكة يقودها أبو سفيان بن حرب، ولكن أبا سفيان تمكن من الفرار بالقافلة، وأرسل رسولاً إلى قريش يطلب عونهم ونجدتهم، فاستجابت قريشٌ وخرجت لقتال المسلمين. كان عددُ المسلمين في غزوة بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معهم فَرَسان وسبعون جملاً، وكان تعدادُ جيش قريش ألفَ رجلٍ معهم مئتا فرس، أي كانوا يشكِّلون ثلاثة أضعاف جيش المسلمين من حيث العدد تقريباً. وانتهت غزوة بدر بانتصار المسلمين على قريش وقتل قائدهم عمرو بن هشام، وكان عدد من قُتل من قريش في

غزوة بدر سبعين رجلاً وأُسر منهم سبعون آخرون، أما المسلمون فلم يُقتل منهم سوى أربعة عشر رجلاً، ستة منهم من المهاجرين وثمانية من الأنصار.

وكان من نتائج غزوة بدر:

١- أن قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا مرهوبين في المدينة وما جاورها.

٢- كما أصبح للدولة الإسلامية الجديدة مصدرٌ للدخل من غنائم الجهاد؛ وبذلك انتعش حال المسلمين المادي والاقتصادي بما غنموا من غنائم بعد بؤس وفقر شديدين داما تسعة عشر شهرًا.

٣-أما نتائج الغزوة بالنسبة لقريش فكانت خسارة فادحة، فقد قُتل فيها أبو جهل عمرو بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وغيرهم من زعماء قريش الذين كانوا من أشد القرشيين شجاعةً وقوةً وبأسًا، ولم تكن غزوة بدر خسارة حربية لقريش فحسب، بل خسارة معنوية أيضاً، ذلك أن المدينة لم تعد تهدد تجارتها فقط، بل أصبحت تهدد أيضاً سيادتها ونفوذها في الحجاز كله.

وقد تمخَّضَتْ غَزَوْةُ بدر عن دروس وعِبَر وفوائد من أهمها

١- الابتكار في الخُطط العسكرية: لقد ابتكر الرسول(صلى الله عليه وسلم) في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوبًا جديدًا في منازلة الأعداء يتمثل في نظام الصفوف وهذا الأسلوب أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف:٤].

وقد كانت العرب تقاتل بأسلوب الكرّ والفرّ، وهو الأسلوب المعهود بينهم، فعمد الرسول(صلى الله عليه وسلم) إلى ابتكار أسلوب الصفوف. ويعتبر الإبداع والابتكار ميزة رائدة تتماز بها العسكرية الإسلامية في المعارك.

٢- الحرص على رفع الروح المعنوية للجنود: كان(صلى الله عليه وسلم) يَحثُّ أصحابه على القتال ويحرضهم عليه امتثالًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ} [الأنفال:٦٥].

وكان يرفع(صلى الله عليه وسلم) الروح المعنوية لأصحابه قائلًا: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ». وقد أثرت هذه التعبئة المعنوية في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم والذين جاءوا من بعدهم بإحسان.

٣- الدعاء أحد الأسلحة الفتّاكة في مواجهة الأعداء: لما نظّم(صلى الله عليه وسلم) صفوف جيشه، وأخذ بكل الأسباب المُتَاحة، رجع إلى عريشه الذى بُنى له ومعه صاحبه أبو بكر، وسعد بن معاذ على باب العريش لحراسته وهو شاهر سيفه، واتجه(صلى الله عليه وسلم) إلى الدعاء قائلًا: «اللهمَّ أَنجِزْ لي ما وعدتني. اللهمَّ آتِ ما وعدتني، اللهمَّ إن تَهلِك هذه العصابةُ من أهلِ

الإسلامِ لا تُعبدُ في الأرض» ونحن نعلم أن الدعاء مَطِيَّةُ مَظِنة الخطر، وحقيقته: إظهار الافتقَار إليه، والتبرُّؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذِّلةِ البشرية، وفيه معنى الثناء على الله تعالى، وإضافة الجود، والكرم إليه؛ ولذلك قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): «الدعاء هو العبادة» .

٤- الحرب قائمة بين أهل الإيمان والكفر لا محالة: لا شك أنّ من أهم وأخطر سنن الله تعالى في العلاقة بين الناس هو التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الإيمان والكفر. وقد ورد ذكر سنة التدافع في موضعين من كتاب الله تعالى؛ فأما الموضع الأول فبعد قصة المنازلة بين طالوت وجالوت، قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة من الآية:٢٥١]. أمّا الموضع الثاني فعند الإذن بالجهاد وبيان مشروعيته، قال سبحانه: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج من الآية:٤٠].

٥- تواجد القائد مع جنوده في ساحة النِّزَالِ: فقد كان الرسول(صلى الله عليه وسلم) أشجع الناس؛ حيث كان مع قومه في قلب المعركة وفى ميدانها، بل كان يُسوِّى صفوفهم بيده الشريفة الكريمة(صلى الله عليه وسلم).

٦- النصر من عند الله: إنَّ حقيقة النصر في غزاة بدر كانت من الله تعالى، وقد حكم اله تعالى بذلك في قوله: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران:١٢٦].

وقد قيّد الله تعالى النصر بقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور:٥٥]. فإذا انتصر الكفر، وكان للكافرين الصَّوْلة والدولة والغلبة على المؤمنين، في بعض الأزمنة أو الأمكنة؛ فذلك لتخلف سبب النصر وشرطه؛ فيُعَاقب الله المؤمنين على تفريطهم في دينهم وما أمروا به لعلهم يرجعون، ويكون هذا ابتلاء وتمحيصًا للمؤمنين، وإمهالًا واستدراجًا للكافرين.

٧- التركيز على وسائل الإعلام: فقد كان النبي(صلى الله عليه وسلم) يَحثُّ شعراء المسلمين على القيام بواجبهم في الدفاع عن المسلمين وإخافة الأعداء بشعرهم؛ إذ كان الشعر يمثل الحملات الإعلامية المؤثرة في دنيا العرب، فيرفع أقوامًا ويخفض آخرين، ويُشعل الحروب الضارية ويُطفئها.

المحاضرة: السابعة والعشرون

اليهود ونقض العهد:

لم يحترم اليهود عهودهم مع النبي(صلى الله عليه وسلم) فحاولوا إشعال الفتنة بين صفوف المسلمين، فهذا شاس بن قيس اليهودي أرسل فتى من فتيان اليهود يُذَكِّرُ الأنصار بما كان بينهم في الجاهلية، ففعل الفتى حتى كادوا أن يتقاتلوا، فخرج إليهم النبي(صلى الله عليه وسلم)، ونهاهم عن العودة إلى الجاهلية، وذكرهم بالإسلام والحب الذي ربط الله به قلوبهم، فعادوا إلى رشدهم وصوابهم.

ولما نصر الله رسولَه والمسلمين على المشركين في غزوة بدر حسدتهم اليهود على ما أنعم الله تعالى به عليهم، فقال فنحاص اليهودي: لا يغرن محمدًا أن غلب قريشًا وقتلهم، إن قريشًا لا تحسن القتال، فلما بلغ رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ما قاله جمع اليهود في سوق بني قينقاع وحذرهم من الغدر ودعاهم إلى الإسلام، وذكرهم بما عندهم من العلم برسالته ونبوته فقال لهم: (احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم) فقالوا: يا محمد إنك ترى أنا كقومك؟ لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت فرصة، أما والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس.

فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه من القرآن ما يجيبهم به ويرد عليهم ما قالوا وما بغوا، فقال تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } [آل عمران: ١٢-١٣].

إن كلام اليهود هذا تهديد واضح للرسول(صلى الله عليه وسلم) بالحرب، وتأكيد لنقضهم للمعاهدة التي بينهم وبينه، ومع ذلك فقد صبر عليهم الرسول(صلى الله عليه وسلم) ولكنهم أصروا على نقضهم للعهد.

طرد يهود بني قينقاع من المدينة:

ذات يوم ذهبت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع لبيع ذهب معها، فاحتال عليها اليهود لتكشف وجهها فأبت، فأخذ الصائغ طرف ثوبها، وربطه إلى ظهرها –وهي لا تعلم– فلما قامت انكشفت عورتها، وأخذوا يضحكون منها، فصاحت المرأة تستغيث بعد أن طعنت في كرامتها، فوثب رجل مسلم على اليهودي الذي أهان المرأة فقتله، فقام اليهود بقتل ذلك المسلم، فكان شهيدًا في سبيل الله، فقامت الحرب بين المسلمين واليهود بسبب غدرهم ووقاحتهم وسوء أدبهم.

فلما علم بنو قينقاع بقدوم المسلمين فروا إلى حصونهم واختبئوا فيها؛ فحاصرهم المسلمون وحبسوهم في حصونهم، واستمر هذا الحصار خمسة عشر يومًا، بعدها اضطر اليهود إلى أن يفتحوا الحصون ويستسلموا رعبًا وخوفًا من المسلمين، فجاء عبد الله بن أُبي بن سلول، وقال: (يا

محمد أحسن في موالي (حلفائي) وظل ابن سلول يتشفع لهم عند الرسول حتى اكتفى النبي (صلى الله عليه وسلم) بطردهم من المدينة، فخرجوا تاركين وراءهم أموالهم غنيمة للمسلمين، وذهبوا إلى بلدة تسمي أذرعات في الشام، وهناك سلط الله عليهم وباء مات فيه أغلبهم.

غزوة أحد

في شوال من السنة الثالثة من الهجرة، خرجت قريش بكل ما تقدر عليه من عدة وعتاد، ورجال ونساء، بلغوا ثلاثة آلاف مقاتل، لقتال المسلمين، فلما علم رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بذلك أعلن الجهاد، ووعد المؤمنين بنصر الله وثوابه، وما أعده الله للشهداء، واستشار أصحابه في الخروج للقتال خارج المدينة أو البقاء فيها، فأشار كثير من الصحابة بالخروج للقتال، فوافقهم رسول الله(صلى الله عليه وسلم) مع أن رأيه كان خلاف ذلك فخرج النبي(صلى الله عليه وسلم) من المدينة في ألف من أصحابه، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحُد انسحب عبد الله بن أبي بن سلول . رأس النفاق . بثلث الجيش، حتى يحدث اضطرابا وهزة في الجيش الإسلامي، وقال هو ومن معه :" لو نعلم قتالا لاتبعناكم، وعلام نقتل أنفسنا ".

فسار النبي(صلى الله عليه وسلم) ومعه سبعمائة من أصحابه، فعسكر بهم بجوار جبل أحد، وقسم الجيش علي ثلاث كتائب بقيادة مصعب بن عمير وأسيد بن حضير والحباب بن المنذر (رضي الله عنهم أجمعين)، وحثهم على الجهاد والصبر، والطاعة وعدم الخلاف، ثم جعل النبي(صلى الله عليه وسلم) ظهور المسلمين إلى جبل أحد، وجعل على الجبل خمسين راميا تحت إمرة عبد الله بن جبير، وقال لهم:(إن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تبرحوا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا).

وبدأت المعركة، واستعرت نيرانها، واستبسل المسلمون في القتال، وسجل التاريخ بطولات رائعة للصحابة(رضوان الله عليهم)، وانتصر المسلمون في البداية لما التزموا بأوامر النبي(صلى الله عليه وسلم)، وانسحب المشركون منهزمين، وتبعهم المسلمون يقتلون ويغنمون .

فلما رأى الرماة ذلك نزل كثير منهم وتركوا أماكنهم، وخالفوا أمر النبي(صلى الله عليه وسلم)، وظل أميرهم عبد الله بن جبير(رضي الله عنه) مكانه ومعه عدد قليل منهم، وانتهز خالد بن الوليد . ولازال يومئذ مشركا . فرصة خلو الجبل من الرماة ونزول أكثرهم، فالتف ورجع هو ومن معه من جنده، فقتلوا من بقي من الرماة وأميرهم، وأخذوا يهجمون على المسلمين من الخلف يقتلونهم، حتى وصلوا إلى النبي(صلى الله عليه وسلم) وشجوه في وجهه، وشاع في الناس أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) قد قُتِل، فازداد فزع المسلمين ..

وفي هذه اللحظات العصيبة ثبت النبي(صلى الله عليه وسلم) ومعه نفر من أصحابه، يدافعون عنه(صلى الله عليه وسلم) بأجسادهم وأرواحهم، في صور رائعة من الحب والتضحية، وعاد

المسلمون إلى الثبات، ويئس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم فتوقفوا، رغم أن المسلمين وصلوا إلى حالة كبيرة من التعب والألم لما أصابهم .

وعلم الله ما بعباده من الهم والغمّ، والخوف والألم، فأنزل عليهم نعاساً ناموا فيه وقتاً يسيراً، ثم أفاقوا وقد زالت عنهم آلامهم، وفي ذلك يقول الله عز وجل: { ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ } (آل عمران: من الآية١٥٤). يقول أبو طلحة(رضي الله عنه) واصفاً تلك الحال : " كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه " ..

رجع النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وبات ليلة، ثم أمر كل من شارك في القتال أن يخرج معه لتتبع المشركين وقتالهم، فلما رأى المشركون ذلك دخلهم الخوف والرعب، فرجعوا إلى مكة، وانتهت المعركة بما فيها من آلام وجراح، ونصر وهزيمة، وقتل سبعون صحابيا وجرح العديد منهم، وأنزل الله في شأن هذه الغزوة نحواً من خمسين آية في سورة آل عمران، واصفاً أحداثها، ومبيّناً أسباب النصر والهزيمة ..

المحاضرة :الثامنة والعشرون

<u>هل غزوة أحد.. انتصار أم هزيمة ناقشي ذلك :</u>

تُعتبر غزوة أحد مِن المعارك الشهيرة التي دارتْ رحاها بيْن: أولياء الله، وأولياء الشيطان. أما أولياء الله، فهم: المهاجِرون والأنصار، بقِيادة الرسول الأعظم، والقائِد المحنَّك(عليه الصلاة والسلام) ، وأمَّا أولياء الشيطان، فكانوا كفَّارَ قريش، بقيادة زعاماتِ الكفر والشرك، وفي مقدمتهم أبو سفيان. وقد حصلتِ المعركة قربَ المدينة عندَ جبل أحد، وكانت من جولتين:

أولاهما: انتصَر فيها المسلمون انتصارًا باهرًا، وغنِموا غنائمَ كبيرة.

ثانيتهما: خسِر فيها المسلمون بعضَ الخسائر المادية، وظهَر فيها المشركون بمظهر المنتصر.

ولكن الحقيقة غير ذلك :

-فأنَّ الرسولَ(صلَّى الله عليه وسلَّم) استطاع وهو القائِد للمعركة أن يتَّجه بِمَن معه من المسلمين مِن قتْل مستأصل شامل، حيث انحاز إلى مكان آخَر قريب مِن مكان المعركة، استطاع المسلمون من خلاله أن يُعيدوا تنظيمَهم، وأن يدافعوا عن أنفسِهم.

- أنَّ المشركين بقيادة خالد بن الوليد قد انسحَبُوا بعدَ يأسهم من إبادة المسلمين، يجرُّون أذيالَ القهر والخيبة. وأنَّ الرسول(صلَّى الله عليه وسلَّم) استطاع أن يَتتبَّع فلولَ المشركين بعد توقُّف الحرب، بالرغمِ مِن الإنهاك والإجهاد الواقعَينِ للمسلمين.

كل ذلك يجعلنا نميل إلى أنَّ نتيجةِ هذه الغزوة كانت لصالح المسلمين؛ لما حصَل فيها، وإعطاء المسلمين دروسًا عمليَّة في وجوب الالتزام والانضباط، وأخْذ الحيطة والحَذر من عدوِّهم.

أمَّا كيف نستفيد مِن الدروس والعبر بهذه الغزوة في صِراعنا مع أعدائنا في العصرِ الحاضر مِن اليهود والصليبيَّة الحاقِدة، والمشركين مِن أرباب الديانات الوثنيَّة المختلفة، فإنَّ هذا جديرٌ بالنظر والتأمُّل، فواجبُ المسلمين اليوم عظيمٌ للغاية، فنحن رأينا في هذه الغزوةِ أنَّ المسلمين حصلتْ لهم النكسة بسببِ أمور، مِن أبرزها:

١- عصيان رسولِ الله(صلَّى الله عليه وسلَّم) فلا شكَّ أنَّ معصيته موجبة للانهزام النفسي والمادي، كما قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. ولا شكَّ أنَّ أعظم العصيان الحُكم بغير ما أنزل الله مِن القوانين البشريَّة الوضعيَّة، والسماح للكُفر والخرافة والبِدعة بالانتشار في المجتمعات الإسلاميَّة، وكذلك ترْك الرذيلة تفشو وتنخر في كيان الأمَّة المسلمة.

٢- الانشغال بالدُّنيا وزخارفِها وبهرجِها، مثل ما حصَل مِن المسلمين من الانشغال بالغنائم، حيث حكَى الله عنهم في قوله سبحانه: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. ولا شكَّ أنَّ الانغماس في الدنيا ولذَّاتها يفوِّت على المسلمين مصالحَ عظيمة، ويُجرِّئ عليهم عدوَّهم.

٣- التنازُع والتفرُّق، حيث كانا سببًا في نكسةِ المسلمين يوم أُحد، حين اختلفَ الرُّماة مع قائدهم عبدالله بن جبير الأنصاري، وخالفوا أمْره وأمْر رسول الله(صلَّى الله عليه وسلَّم) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٤- أخْذ الحيطة والحذَر من الأعداء؛ وذلك بإعدادِ العُدَّة، والتنظيم العسكري المحكَم الدقيق المستمرّ، كما قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٥- الصَّبر وعدَم الجزع، فإذا أُصيب المسلمون بخسائرَ ماديَّة؛ مِن تقتيل، أو اضطهاد، أو نقْص في الأموال، فعليهم الصبر وعدَم الجزع، كما قال سبحانه مسليًا المسلمين بعدَ نكسة أحد: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠].

المحاضرة: التاسعة والعشرون

بعد أحداث غزوة أحد، وما حصل فيها من ابتلاء وهزيمة للمسلمين، انتشر بين الأعداء الشعور بالفخر، وحصلت لديهم الرغبة في الكيد بالمسلمين والقضاء عليهم، وإظهار قوتهم وبطشهم، فاستعد المشركون لتنفيذ مؤامراتهم الدنيئة لضرب شوكة الفئة المؤمنة من خلال الهجوم على المدينة النبوية. وفي المقابل، تأهب النبي(صلى الله عليه وسلم) لأي هجوم أو مبادرة من قبل الأعداء، فما إن شعر بهجوم مباغت على المدينة حتى أرسل بعض السرايا لاستكشاف الأمر والوقوف على مخططات الأعداء، فمن تلك السرايا:

سرية أبي سلمة:

انطلقت هذه السرية في مطلع هلال محرم من السنة الرابعة للهجرة، وكان سببها طمع أعراب "بني أسد" في مهاجمة المسلمين، وحينئذ شرع طُليحة و سَلَمة ابنا خويلد في جمع الحشود من أجل مهاجمة المدينة طمعاً في خيراتها، وانتصاراً لشركهم، ومظاهرة لقريش في عدوانها.

إلا أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) سرعان ما فوَّت عليهم الفرصة وأخذ بزمام المبادرة، فقام بتشكيل سرية قوامها مائة وخمسون رجلاً من المهاجرين والأنصار، وأمّر عليهم أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وعقد له اللواء، وأمره بالسير إليهم والإغارة عليهم قبل تلاقي جموعهم.

فانطلقت تلك السرية بدافع الإيمان، ومنع العدوان، ورغبة في كف الأذى، حتى باغتوا القوم وشتتوهم وفرقوا جموعهم قبل تحركهم، وكانت العاقبة للمسلمين، فرجعوا إلى المدينة سالمين غانمين دون حرب أو قتال.

وكان أبو سلمة(رضي الله عنه) من السابقين إلى الإسلام، وقد عاد من هذه السرية متعباً، وقد انفجر جرحه الذي أصابه في أحد، فلم يلبث أن توفي على إثره رضي الله عنه وأرضاه.

ومما يلاحظ في هذه السرية: الدقة في التخطيط الحربي عند النبي(صلى الله عليه وسلم)، حيث خطط لمباغتة العدو في عقر داره، كما يلاحظ دقة المسلمين في تنفيذهم لتلك الخطة على أتم وجه. ومن الفوائد التي جناها المسلمون من هذه السرية إشعار العدو بقوتهم، مما يحملهم على الإذعان، ومصالحة المسلمين، وعدم الاعتداء عليهم .

سرية عبد الله بن أُنيس:

وكانت في الخامس من المحرم سنة ٤هـ بعد سرية أبي سلمة ، وكان الهدف منها لفت نظر العدو إلى قوة المسلمين، وإحباط مخططاته، حيث تبادر إلى أسماع المسلمين أنّ خالد بن سفيان الهذلي يجمع المقاتلة من هذيل في عرفات من أجل غزو المدينة، مظاهرةً للمشركين، ومعاداة للمؤمنين، وطمعاً في خيرات المدينة.

فبادر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) إلى إخماد تلك المؤامرة في عقر دارها، وكلف الصحابي الجليل عبد الله بن أنيس الجهني بالقيام بتلك المهمة، فانطلق عبد الله حتى أتى خالد بن سفيان ، وتعرف على صفته التي نعته بها النبي(صلى الله عليه وسلم)، ثم أوهمه أنّه جاء للانضمام إليه، فلما تمكن منه حمل عليه بسيفه، فأرداه قتيلاً، وعاد إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فأخبره بما فعل، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه عصاه إكراماً له، ولتكون علامة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

العبر والفوائدد من هذه الحادثة:

-دقة الرصد الحربي عند الرسول وأصحابه، ومتابعة تحركات العدو ومؤامراته، وضرورة مباغتته في عقر داره.

–وفراسته(صلى الله عليه وسلم) في اختيار الرجال، وتكليف كلٍّ بما يتناسب وقدراته، فقد اختار عبد الله لهذه المهمة لما يتمتع به من قوة قلب، وثبات جنان، ورسوخ يقين، إلى جانب ما يمتاز به من معرفة بمواطن القبائل لمجاورتها ديار قومه "جهينة".

وهكذا استطاع المسلمون بإخلاص جهادهم في سبيل الله أن يبثّوا الرعب في قلوب الأعداء، ويشعروهم بقوة إيمانهم ورسوخ عقيدتهم، ويضطروهم إلى المسالمة، وعدم الاعتداء.

((صلح الحديبية وفتح مكة))

أولا: صلح الحديبية

وهي معاهدة تمت بين النبي(صلى الله عليه وسلم) وكفار قريش في السنة السادسة للهجرة على إثر منع قريش الرسول والصحابة من دخول مكة معتمرين وذلك بعد الرؤيا التي رآها الرسول والتي أدخلت الفرحة إلى قلوب الصحابة الذين لم يكن في نفوسهم أدنى شك في تحقق رؤيا الرسول ، فانتهى الأمر بالوقوف عند الحديبية مكان معاهدة الصلح ، والتي تمت فيها بيعة الرضوان.

في الطريق إلى مكة وبيعة الرضوان اتجه النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى مكة ومعه أم المؤمنين أم سلمة(رضي الله عنها) ومعه ألف و أربعمائة مسلم لقضاء العمرة ، وفي طريقه إلى مكة علم النبي(صلى الله عليه وسلم) استعداد قريش لمنع المسلمين من دخول مكة ، لكنه واصل السير بعد أن أشار عليه الصحابة بالتقدم حتى وصل إلى الحديبية ، فلما نزل بها أرسل (صلى الله عليه وسلم) عثمان بن عفان(رضي الله عنه) إلى قريش أنهم جاءوا للعمرة وليس للقتال، فحبست قريش عثمان ابن عفان حتى شاع خبر مقتله، حينها دعا(صلى الله عليه وسلم) إلى البيعة لمواجهة قريش وتجديدا للعهد مع الله على نصرة الإسلام ، فكانت البيعة شرفا للصحابة الذين(رضي الله عنهم) وجزءا من الفتح الذي سيقوم على السلم.

أرسلت قريش سهيل ابن عمرو لعقد الصلح مع النبي(صلى الله عليه وسلم) والذي اعترض على بعض شروط الصلح التي أملاها النبي(صلى الله عليه وسلم) على علي بن أبي طالب الذي كان يكتبه، ومن ذلك عدم قبوله كتابة بسم الله الرحمن الرحيم والتي استبدلها باسمك اللهم ، ومحمد رسول الله بمحمد بن عبدالله والنبي(صلى الله عليه وسلم) قبل بذلك ، كما قبل(صلى الله عليه وسلم) بشروط قريش ومنها ،أن تكون هدمة بين الطرفين اعشر سنوات ، ألا يقضوا العمرة إلا في العام القادم ، وأن يرد(صلى الله عليه وسلم) إلى قريش من جاءه مسلما.

– تبد شروط الصلح في ظاهرها مجحفة وفي بنودها التي لم يستسغها الصحابة ،لكنها في الباطن كانت سببا لفتح كبير حيث تمكن نشر الإسلام في مرحلة السلم بسبب حرية التنقل

بين المشركين وخصوصا داخل مكة حيث اعتنق الإسلام ضعف ما كان عليه عدد المسلمين قبل الصلح.

ما هي أهم العبر والفوائد من صلح الحديبية:

- دخول الخوف من الإسلام والمسلمين في قلوب المشركين والمنافقين.
- أمن المسلمين عدوان قريش .
- أصبح حلفاء قريش يقفون إلى جانب المسلمين ويميلون إليهم.
- ساهم صلح الحديبية في فتح مكة الأعظم.

المحاضرة الثلاثون

ثانيا: فتح مكة

١-سبب فتح مكة :

في العام الثامن للهجرة نقضت قريش صلح الْحُدَيْبِيَة وذلك عندما أمدت بني بكر بالمال والسلاح للاعتداء على خزاعة الذين دخلوا مع المسلمين في صلح الحديبية. فقدم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة وأخبر النبي(صلى الله عليه وسلم) أن قريشاً خانوا العهد..

٢- خروج المسلمين إلى مكة :

أمر النبي(صلى الله عليه وسلم) بالاستعداد سراً حتى لا تعلم قريش بذلك، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل، سار بهم(صلى الله عليه وسلم) في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة حتى (مَرُّ الظهران) قريبا من مكة الذي يسمى الآن بوادي فاطمة.

٣- خروج أبي سفيان وإسلامه :

خرج أبو سفيان (صخر بن حرب) من مكة يتحسَّس الأخبار فالتقاه العباس عم الرسول(صلى الله عليه وسلم) وسار به إلى الرسول(صلى الله عليه وسلم) وطلب له الأمان فأمنه(صلى الله عليه وسلم) ودعاه إلى الإسلام فأسلم، ثم قال: العباس للنبي(صلى الله عليه وسلم): " إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً" فقال(صلى الله عليه وسلم): "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن " ولم يسمح الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبي سفيان بالعودة إلى مكة حتى يرى جيش المسلمين، ولما رجع أخبر قريشاً أن محمداً قد جاءهم بما لا قدرة لهم على مقاومته.

٤- دخول المسلمين مكة:

بعد ذلك قسّم الرسول(صلى الله عليه وسلم) جيشه أربع فرق وجعل على كل فرقة قائدا.

١- الفرقة الأولى بقيادة الزبير بن العوام تدخل مكة من أعلاها.

٢- الفرقة الثانية بقيادة خالد بن الوليد تدخل مكة من أسفلها.

٣- الفرقة الثالثة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح تدخل مكة من الشرق.

٤- الفرقة الرابعة بقيادة قيس بن سعد بن عبادة تدخل مكة من الجهة الأخرى.

فدخلوا جميعاً مكة دون مقاومة، وتم للمسلمين فتح مكة.

ودخل الرسول(صلى الله عليه وسلم) مكة، متواضعاً للّه، وهو يردد سورة الفتح حتى وصل إلى البيت، وطاف بالكعبة سبعة أشواط واستلم الركن بمِحْجَنِه كراهة أن يزاحم الطائفين وتعليماً لأمته.

وأخذ يكسر الأصنام وكان عددها ثلاثمائة وستون صنماً وهو يتلو قوله تعالى: وَقُلْ جَاءَ الْحقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إنّ الْبَاطِلَ كانَ زَهُوقاً ثم دخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلى بها .

٥- من نتائج الفتح:

لقد كانت النتيجة المباشرة لفتح مكة انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية:

١- أقبلت قريش الخصم الرئيسي على الإسلام بعد أن ظلت عشرين عامًا تصد عن سبيل الله بكل أساليب الضغط والإيذاء والقتال.

٢- أقبلت القبائل العربية التي كانت تخشى بطش قريش على النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم) تقدم الطاعة بين يديه وتعلن الإسلام.

٣- عاد المستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، إلى بلادهم تحت أعلام الإسلام والسلام.

٤- أتم الرسول(صلى الله عليه وسلم) في أول يوم لفتح مكة تحطيم الأصنام، والقضاء على الوثنية في البيت الحرام.

٥- تحقق للدولة الإسلامية الناشئة ركن الأمن والاستقرار؛ لكي تؤدي رسالتها السامية لخير البشرية جمعاء.

<u>الدروس والعبر والفوائد من الفتح :</u>

١- بيان عاقبة نكث العهود وأنه وخيم للغاية، إذ نكثت قريش عهدها فحلت بها الهزيمة، وخسرت كيانها الذي كانت تدافع عنه وتحميه.

٢- فضيلة إقالة عثرة الكرام، وفضل أهل بدر، وقد تجلَّى ذلك واضحاً في العفو عن حاطب بعد عتابه، واعتذاره عن ذلك، بالتوبة منه.

٣- مشروعية السفر في رمضان، وجواز الفطر والصيام فيه. فقد سافر النبي(صلى الله عليه وسلبم) إلى فتح مكة في رمضان وكان في السفر الصائم والمفطر ولم يعتب على أحد.

٤- مشروعية التعمية على العدو حتى يُباغت، قبل أن يكون قد جمع قواه، فتسرع إليه الهزيمة وتقل الضحايا والأموات من الجانبين حقناً للدِّماء البشرية.

٥- بيان الكمال المحمدي في قيادة الجيوش، وتحقيق الانتصارات الباهرة.

٦- مشروعية إرهاب العدو بإظهار القوة له، وفي القرآن الكريم قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} الأنفال٦٠

٧- إنزال الناس منازلهم، وقد تجلَّى هذا في إعطاء الرسول(صلى الله عليه وسلبم) أبا سفيان كلماتٍ يقولهن، فيكون ذلك فخراً له واعتزازاً، وهي: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن" ينادي بها بأعلى صوته.

٨- بيان تواضع الرسول(صلى الله عليه وسلبم) لربه شكراً له على آلائه وإنعامه عليه إذ دخل مكة وهو مطأطئ الرأس، حتى إنَّ لحيته لتمس رحلَ ناقته تواضعاً لله وخشوعاً. فلم يدخل -وهو الظافر المنتصر- دخولَ الظلمة الجبارين سفاكي الدماء البطَّاشين بالأبرياء والضعفاء.

٩- بيان العفو المحمدي الكبير إذْ عفا عن قُريشٍ العدو الألد، ولم يقتل منهم سوى أربعة رجال وامرأتين.

١٠- بيان عدل الرسول ووفاءه، تجلَّى ذلك في رد مفتاح الكعبة لعثمان بن أبي طلحة، ولم يُعطه مَن طلبه منه وهو "علي بن أبي طالب"(رضي الله عنه) وهو صهره الكريم وابن عمه.

١١- تقرير مبدأ الجوار لقوله(صلى الله عليه وسلم): (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ).

١٢- وجوب البيعة على الإسلام، وهي الطاعة لله ورسوله وأولي الأمر في المعروف وما يستطاع.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام وخاتم النبيين محمد بن عبد الله و على آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.